الدكتور ابراهيم يحيى الشهابي

مفهوم

الحرب والسلام في الإسلام

صراعات وحروب.. أم تفاعل وسلام؟



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

1399 و. ر (من وفاة الرسول ﷺ)
1990م

منشورات مؤسسة محي للطباعة والتوزيع

الدكتور إبراهيم يحيى الشهابي

مَفهُوم

الحرب والسلام في الإسلام

صِراعَات وَحُرُوبٌ.. أَمْ تَفاعُل وَسَلَام؟

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف وتقديم

أحاول في هذا الكتاب أن أبين منهج القرآن الكريم الذي وضعه الله سبحانه وتعالى للبشر ليتمكّنوا من القيام بالأمانة التي تعهد بحملها الإنسان. وهي التمتع بالحرِّية وليتمكّنَ هذا الإنسان بحريته هذه أن يعمر الأرض بدلاً من أن يدمرها ويدمر نفسه.

لايمكن للإنسان أن يقوم بهذه المهمة إلاَّ عبر التفاعل الإنساني الودي بين الأفراد والجماعات والشعوب والأمم بهدف بناء حضارة عالمية تحترم البشر كافـة .

قال تعالى في كتابه العزيز :

﴿ ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾.

{الحجرات 13}

وهكذا فإن الأمر السوي في علاقة الناس بعضهم ببعض هو السلام والمحبة، وليس الحرب والأحقاد.

إن الحرب* حالة عارضة، غير مرغوب فيها، ينبغي تجنبها ماأمكن، ولكن إن كان لابد منها، فينبغي أن تقيد بقيود وسلوكيات تخفف قدر المستطاع من ويلاتها وآثارها المدمرة معنوياً ومادياً.

كذلك، لايستطيع الإنسان أن يستكمل مهمته هذه إلا إذا تعامل مع الطبيعة أيضاً بالمستوى نفسه في علاقته مع أخيه الإنسان. أعني أن يتعامل الإنسان مع الطبيعة انطلاقاً من محبته لها ومحاولته استكشافها واكتشاف أسرارها ومكنوناتها التي خلقت كلها لتكون في خدمته وتسهيل مهمته في الإعمار والبناء. أما إذا تعامل معها من منطلق الرغبة في السيطرة عليها، ومن منطلق الصراع والحقد فإن ذلك سوف يؤدي إلى تدميرها وتدميره معاً.

قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿ اللّه الذي سَخَّر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون * وسخَّر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾.

{الجاثية 12 - 13}

على الإنسان أن يتفكر، أن يستخدم عقله الذي زوَّده اللّه به لاستكشاف الطبيعة واكتشاف قوانينها واستخدامها لخير البشرية الأمر الذي يجعَل الإنسان شكوراً لربه خالق هذا الكون وصانع هذه القوانين. أما إذا حاول تغيير هذه القوانين بهدف خلقها كما فعل اللّه تعالى فإن الفشل مصيره، بل والدمار له وللطبيعة معاً. وإذا حاول استخدام هذه القوانين والمكتشفات العلمية في غير صالح البشرية فإن الدمار أيضاً سيكون بانتظاره، وأكبر دليل على ذلك، الصناعة النووية العسكرية، وخرق طبقة الآزون، وغير ذلك.

إن هذا الكتاب ليس مجرد تفسير لآيات القرآن الكريم، ولاأدعي أنه دراسة تاريخية أوفلسفية، بل هو رؤية عامة معاصرة للإنسان ومسيرته في الحياة من خلال كتاب الله العزيز الحكيم.

سوف أخصص هذا الكتاب لمقولة الحرب والسلام لما لها من أهمية في حياة الإنسان المعاصر، ولما لها من آثار على مصير البشرية بأسرها.

أرجو الله أن يوفقني إلى ماأصبو إليه، وأدعو جميع القراء والمفكرين إلى تنبيهي إلى ماأكون قد أخطأت فيه، وإلى استكمال البحث في موضوعات تهدف إلى استخلاص مناهج لجميع مناحي الحياة وميادينها من القرآن الكريم إسهاماً في إنارة الطريق أمام أمتنا لتتمكَّن من تحرير أبنائها وأرضها والإسهام في بناء حضارة عالمية تقوم على المحبة والسلام والتفاعل الودي، تبني ولاتهدم، تنشر الخير وتهزم الشر، تُحقُّ الحق وتُزهق الباطل.

المؤلف

د. إبراهيم يحيى الشهابي

دمشق في 29 / **رمضان**/ 1399 **و.ر (من وفاة الرسول ﷺ)**

5 / **أيار الماء**/ 1989**م.**

الفصل الأول

مدخل

بسم الله الرحمن الرحيم

منذ أن رفع الإنسان قامته فوق الأرض ونظر حوله كان عليه التعرف على مسرح الحياة ومافيه من مخلوقات وموجودات. اتخذت عملية التعرُّف هذه أشكالاً مختلفة انبثقت كلها من محاولات استكشاف أسرار الكون، بدءاً من الأرض وانتهاء بالسماء بهدف تلبية حاجاته من طعام وشراب ولباس ومأوى، أو للدفاع عن نفسه، أو لإثبات تفوقه على الطبيعة وعلى مافيها من مخلوقات. وما غريزة الصراع على البقاء التي يتصف بها الحيوان إلا الشكل البدائي لهذه النزعة عند الإنسان. ولكن الإنسان خُلق حراً مفكراً، تحمَّل الأمانة التي عرضها الله على السماوات والأرض والجبال وسائر

المخلوقات فَـأَبَيْـنَهَا، إلا الإنسان فقد قَبِلَها، فمنحه الله الحرية الكاملة في أن يختار مايريد، وزوَّده بما يمكنه من ممارسة هذه الحرية، زوَّده بعقل يستطيع التحليل والتركيب والتمييز والاستنتاج، وخلق له مقابل ذلك مغريات وقوى شر رُمِزَ لها بإبليس وبأتباعه من الشياطين، وسخر كذلك مافي السماوات ومافي الأرض يُعمل فيها عقله، ويصل إلى مايراه نافعاً له. إن الحرية التي منحها الله للإنسان تشمل حتى حرية الإيمان بالله خالقه أو الكفر به :

﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً ﴾.

{الأحزاب 72}

لقد ظلم الإنسان نفسه بقبوله تحمل الأمانة التي هي في الواقع حرية الاختيار، ذلك لجهله بعظم المسؤولية هذه وثقلها. لقد أشفقت الجبال والأرض والسماوات منها على نفسها، أما الإنسان فقد تصدى لها وتعهد بحملها.

لذلك لابد من تزويده بما يتناسب مع هذه المسؤولية من عقل وفيزيولوجيا، ومن عوامل إغراء وإغواء وإلا لما كان لهذه الحرية طعم. فهل يكون للحرية معنى إن لم يجد الإنسان نفسه أمام تناقضات ومغريات ربما تُودِي به في الهاوية لاينقذه منها إلا إحساسه بمسؤولية هذه الأمانة «الحرية»؟! لقد أخطأ الإنسان في أول تجربة تعرض لها في السماء، فهبط إلى الأرض بعضهم لبعض عدو، ذلك لأن مشاريبهم الفكرية سوف تختلف واتجاهاتهم سوف تتمايز وتتصارع بسبب كون طبيعة الإنسان ذاتها مكوَّنة من أحط العناصر وهو الطينَ «الحمأ المسنون»، ومن أرفع وأسمى العناصر وهو روح الله. ولابد للعنصرين أن يتفاعلا في نفسه، وهنا يأتي الإحساس بالأمانة والمسؤولية التي تقوى وتتغلب بقدر قوة ارتباط الإنسان بخالقه وفهمه لهذه الرابطة المقدسة:

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾.

{الحجر 28 – 29}

وقال تعالى مبيناً المبدأ الجوهري الذي يستطيع الإنسان بموجبه الانتصار على الغواية، ويتمكن من السير في الطريق السليم والمنهج القويم، من خلال حوار يجري بين الله الخالق وإبليس الذي هيأ الله له فرصة القيام بدور المحرك والمثير لعناصر الغواية والضلال في نفس الإنسان :

﴿ قال رب بما أغويتني لأزينَنَّ لهم في الأرض ولأغوينَّهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلَصين * قال هذا صراط علي مستقيم * إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ﴾.

{الحجر 39 – 42}

وتحقيقاً لعدالة الله سبحانه وتعالى زُوِّد الإنسان، كما أسلفنا، بآليات هذه الحرية، وأرسل الله له بين الحين والحين «حسب التطور البشري، ومراحل نمو خبرة الإنسان» بتعليمات وتوجيهات من السماء عن طريق رسل وأنبياء كان آخرهم وخاتمهم محمد ﷺ، يبين لهم ربهم سبيل الخلاص ويوضح لهم سبيل الضلال

ليتجنبوه:

﴿ قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلايضل ولايشقى ﴾.

[طه 123]

وانطلاقاً من هذه الطبيعة البشرية، ومن الدور الذي يقوم به الإنسان على وجه الأرض، كانت نظرته للأمور متنوعة ومختلفة. فمفهوم البطولة مثلاً، يختلف عند أتباع النظريات الروحية عنه لدى أتباع النظريات المادية. فالماديون يرون أن البطولة تتجلَّى في المهارة والذكاء والدهاء والسلطان والتفوق على الآخرين، وفي القدرة على تجميع الثروة وقهر الشعوب والسيطرة عليهم والهيمنة على بلدانهم، وفي إقامة الإمبراطوريات الشاسعة ولو كان ذلك على حساب الآخرين واستغلالهم وابتزازهم.

الوسيلة عندهم لاتَهم طالما كانت طريقاً إلى الغاية.
أما الروحيون فيرون أن البطولة تتجلى في القدرة على

قهر النفس عبر التصوف وإضعاف الحواس والجسد، وعبر مقاومة فطرة الإنسان والترفع عن معطيات الطبيعة والهروب من الحياة الواقعية إلى الحياة الروحية الخالصة.

كان للعرب، خصوصاً، نظرتهم، فهم، بفطرتهم وبسبب تأثير البيئة التي نشأوا فيها أدركوا أن البطولة تكمن في العمل وبذل الجهد، وفي الشهامة والكرم وعمل المكرمات كنجدة المستغيث وإعانة المحتاج ونصرة الحق وحماية المستجير، بيد أن هذه الخصال كان يخالطها تشوهٌ كثير وانحراف كبير مثل الثأر، ووأد البنات خشية العار وقتل الأولاد خشية الإملاق، وغير ذلك من عادات وتقاليد لم تكن تناسب المجتمع الإنساني المتحضر.

أما الإسلام فقد نبذ مافي الاتجاهين من سلبيات وعزّز مافيهما من إيجابيات عندما قرّر أن الإنسان ينبغي له أن يعيش حياته الطبيعية كمخلوق بيولوجي: يأكل ويشرب ويتزوج وينجب ويصيب ويخطئ، يشبع ويجوع، نزّاعٌ إلى الفردية والتسلط وامتلاك الدنيا، وتواق في الوقت نفسه إلى الجماعية والتعاون والعطاء.

جاء الإسلام فنظَّم للإنسان حياته بما يكفل سيره في السراط المستقيم، مادياً وروحياً ونفسياً، فيُعمر الأرض بالخير والسلام إن هو اتبع هدي الإسلام، ويفسدها بالشر، ويدمرها بالحروب إن هو أدار ظهره للإسلام أو أساء فهمه وتفسيره.

ولذلك جاء مفهوم البطولة في الإسلام يختلف عن كل ماسبق ذكره عند العرب وغيرهم من شعوب الأرض، ويتلخص فيما يلي:

1 . اقترنت البطولة بالقيم الخالدة وخصوصاً بالإيمان بالله وتحمُّل المسؤولية تجاهه، الأمر الذي يتطلب إقامة العدل والمساواة، وإنصاف المظلوم وإحقاق الحق، وتحرير الإنسان وحمايته من الظلم والاستغلال والتهديد، أي بتحريره من جوع إطلاقاً وخوف إطلاقاً.

2 . لم تعد البطولة محصورة في طبقة معينة أو فئة محدودة، بل أصبحت مشاعاً للناس كافة، فخدمة المجتمع والوقوف إلى جانب الحق والدفاع عنه تُعد أعمالاً بطولية، ويحتل فاعلها مساحة كبيرة في ذاكرة

شعبه بغض النظر عن موقعه الإجتماعي أو انتمائه الطبقي أو العرقي.

أكد لنا الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أن محمداً ﷺ، وهو نبيه ورسوله، ومحرر البشرية ومخرجها من الظلمات إلى النور، وباني أعظم حضارة في تارخ البشرية «سابقة وحاضرة ولاحقة»، أكد لنا جل جلاله أن محمداً ليس إلاَّ رسول خلت من قبله الرسل، وماهو إلا بشر مثلنا:

﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يُوحى إليَّ أنما إِلَهكم إِله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عَملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾.

{الكهف 110}

﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يُوحىَ إليَّ أنما إلَهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين ﴾.

{فصلت 6}

لم يُرفع النبي محمد ﷺ إلى مصاف الإله كما فعل أتباع المسيح بنبي الله عيسى بن مريم، وكما تفعل بعض الأمم بقادتها، لأن الخلود لله ولرسالته التي جاءت لصالح البشرية، ولهذا نرى أبا بكر يقول للمسلمين الذين فُجعوا بوفاة الرسول ﷺ ومن بينهم الصحابي الجليل والخليفة الراشد عمر بن الخطاب :

«من كان يعبد محمداً فإن محمد
ومن كان يعبد الله فإن الله حَيٌّ لايموت».

كيف كانت استجابة خالد بن الوليد عندما عزله عمر بن الخطاب عن قيادة الجيش وهو في خضم المعركة وفي أوج انتصاراته ؟! لو كان خالد ابن عصرنا لثار وتمرد وانشق، ولكنه ذلك المؤمن المدرك تماماً لغاية هذا الأمر والمتفهم لعقيدة الإيمان بالله رغم كل ماتَقَوَّلَهُ المستشرقون والحاقدون على أمتنا والمشوهون لتاريخنا، تَقَبَّلَ خالد الأمر راضياً وقال قولته الشهيرة:

«ماأنا إلا جندي أقاتل في سبيل الله».

وأبلغ الأمر لأبي عبيدة بن الجراح الذي عُيِّنَ قائداً مكانه، واستمر خالد يخوض المعركة مجاهداً في سبيل الله يُقاتل بكل حماس واندفاع جنباً إلى جنب مع القائد الجديد.

وماذا فعل أبو عبيدة؟ لقد أخفى الخبر عن الجنود وظل يقاتل بإمرة خالد إلى أن انتهت المعركة بالنصر المؤزر.

كلاهما أدرك أن النصر لايرتبط بفرد، بل بالعقيدة وبالإيمان بالله، بالجهاد في سبيله، كما أدركا أن المجاهد يَظل مجاهداً سواء كان في موقع القيادة أو في موقع الجندي البسيط، والبطولة تتجلى في مثل هذه المواقف وفي مثل هذا الإيمان.

3 . إن غاية البطولة في نظر الإسلام هي تحرير الإنسان من كل أنواع العقد النفسية والمادية. فلم يشعر خالد بأية غضاضة ولم يصب أبو عبيدة بأي غرور.

يؤكد الإسلام من خلال القرآن الكريم أن البطولة هي تحرير الإنسان وليس استعباده، تحرير الذات وليس

استعبادها لأهواء أو غير ذلك؛ البطولة هي حل التناقض الداخلي الفردي والاجتماعي والوقوف ضد أية صيغة من صيغ التناقض التي تؤدي إلى الظلم والضلال، وأُطلق على هذا النوع من الجهد صفة الجهاد الأكبر، في حين أُطلق على الصراعات الأخرى والحروب اسم الجهاد الأصغر.[*1] وذلك لأن الأصل في قانون التطور والتغيير، والإخراج من الظلمات إلى النور، وقانون النصر هو تغيير مابالأنفس؛ فالجهاد الأكبر هو جهاد النفس والذات لتغييرها حركياً وإسقاط النزعات السلبية والحفاظ على توحدها واندماجها في مسيرة الفكر.

قال تعالى في كتابه العزيز:

﴿ أَحَسِبَ الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنونَ ﴾.

(العنكبوت 2)

في الإنسان نزعتان تتصارعان: نزعة إلى إرضاء الهوى والميول دون حساب لما يسفر عنه الاستسلام لها،

ونزعة تحاول تصعيد ميوله ووضعه على الطريق القويم الذي يؤدي إلى التفاعل الحضاري.

هذا هو المحك الذي يختبر حرية الإنسان وتحمله لمسؤولية الأمانة التي أخذها على عاتقه منذ خلقه، فلولا ذلك لما أمكن تمييز المؤمن من غير المؤمن، ولما أمكن التفريق بين حسن الاختيار وسوئه.

قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿ذلك بأن الله لم يكُ مُغيِّراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا مابأنفسهم وأن الله سميع علـيـم﴾.

(الأنفال 53)

﴿له مُعَقِّباتٌ من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله، إن الله لايغير ما بقوم حتى يُغيروا مابأنفسهم، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مَرَدَّ له ومالهم من دونه من وال ﴾.

(الرعد 11)

وقال رسول الله ﷺ لأصحابه لدى عودتهم مظفرين من إحدى الغزوات :

«رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»

فقالوا : مالجهاد الأكبر يارسول الله؟ فقال :

«جهاد النفس»[2].

أما الجهاد الأصغر فهو جهاد العوامل الخارجية كلها، مذهبياً وسياسياً وعسكرياً وأخلاقياً واقتصادياً وحضارياً ... الخ.

إن الجهاد، أصغر وأكبره، يضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الحركية الكبرى في العالم، ويمنحهم فاعلية دائمة إزاء التجارب والمواقف البشرية، تتجاوز حدود الزمان والمكان، ويرفعهم إلى موقع الشهادة على الناس.

وبذلك جعلت الأمة التي تحمل الإسلام وتتخذه منهجاً لحياتها أمةً وسطاً تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر كلاماً وفعلاً وكفاحاً[3].

قال الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ... ﴾.

{البقرة 143}

عَرَّفَ الدكتور أحمد شلبي في كتابه "الجهاد في التفكير الإسلامي" ص 17 الجهادَ بأنه الجهد في مدافعة الشر واستجلاب الخير، وقد يكون الجهاد نفسياً وقد يكون مادياً، والعدوُّ قد يكون ظاهراً وقد يكون خفياً، ويشمل ذلك جهاد النفس الذي يُعَدُّ جهاداً أكبر.

4 . إن هذا المفهوم للبطولة يقودنا إلى حقيقة أن الإسلام لم ينتشر بالسيف كما يحلو لأعدائه القول، بل انتشر بالحوار والعدل.

لقد بدأ محمد صلى الله عليه وسلم مهمته التي كلفه الله بها بالحوار حتى أقنع عدداً من الرجال والنساء، فشكل منهم خلية سرِّية يجتمعون في بيت أحدهم يدرسون ماأنزل الله على نبيه من آيات ويستوعبونها ويحفظونها .

وعندما زاد عدد الخلايا وأصبح المسلمون يشكلون قاعدة جماهيرية قادرة على تحمل عبء الرسالة والدعوة إليها والوقوف في وجه أعدائها أمر الله نبيه بأن يصدع بالدعوة، فأعلن الرسول الدين الجديد على الملأ وخاض هو ومن معه معركة الحوار والإقناع مستفيدين من مواسم الحج في مخاطبة الجماهير.

اقتنع زعماء قبيلتين عربيتين من أهل المدينة هما الأوس والخزرج، فقاموا بدعوة أهل مدينتهم وقبائلهم إلى الدين الجديد «الإسلام».

وبعد ذلك اتخذ الرسول ﷺ خطوة أخرى لنشر الدعوة فأرسل إلى قادة البلدان المجاورة يبلغهم أمر الرسالة ويدعوهم إلى اعتناق الإسلام، لم يرسل إليهم جيوشاً، بل بعث برسائل فقط.

كانت دعوته سلمية خالصة، لاإكراه فيها، تنفيذاً لقوله تعالى :

﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها والله سميع عليم ﴾.

{ البقرة 256}

اتبع خلفاء الرسول ﷺ المنهج السلمي في الدعوة اقتداء وإيماناً بما أمر الله عز وجل.

ولكن الكيانات المجاورة بدأت تعد العدّة لقتال المسلمين وتدمير الإسلام في مهده، الأمر الذي اضطر المسلمين للدفاع عن أنفسهم وعن دينهم، وكان النصر حليفهم فهزموا الماكرين وفتحوا بلدان أعدائهم وأنقذوا شعوبها من تسلط الطواغيت ورفعوا من سوية المضطَهَدين المستعبَدين إلى مصاف بني البشر الأحرار، ومع ذلك لم يرغموا أحداً منهم على اعتناق الإسلام.

كانت غايتهم منع العدوان وإبلاغ رسالتهم إلى الناس كافة إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً دون إكراه على قبولها.

﴿ إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾.

{القصص 56}

وقد شهد التاريخ أن مامن بلد دخلها المسلمون إلا نعمت بالأمن والعدل والسلام والمساواة والحرية.

هاهي القدس مازالت شامخة تفخر بالأمان الذي منحها وأهلها إياه عمر بن الخطاب عندما فتحها، في حين أنها مازالت تئن من الدماء التي أراقها الصليبيون والرؤوس التي خاضوا فيها إلى الركب عندما فتحوها[4].

وعندما استردها صلاح الدين لم ينتقم، لأن الإسلام لاينتقم، بل يعلم الإنسان كيف يحترم الإنسان، ويحافظ على كرامة بني البشر التي منحهم إياها خالقهم رب العالمين.

كما أن قصة سمرقند مازالت حية في ذاكرة التاريخ لايستطيع دفنها حاقد ولامُشَوِّه.

التاريخ مفعم بالأمثلة التي تؤكد هذه الحقيقة، فيما يلي بعضٌ منها :

أرسل النبي ﷺ كتاب دعوة إلى ملك الغساسنة مع الحارث بن عمير الأزدي؛ ولكنهم قتلوا رسوله وسخروا ممن أرسله وهددوا بالزحف على الجزيرة العربية والقضاء على الدعوة الإسلامية. فأعد النبي محمد ﷺ جيشاً بقيادة زيد بن حارثة لمواجهة الغساسنة، ولكن الروم انضموا إلى حلفائهم هؤلاء، واستطاعوا هزيمة المسلمين في موقعة مؤتة[5]. وهكذا بدأ الصراع ضد الروم وانتهى أخيراً بتحقيق النصر الحاسم على الروم وهزيمتهم إلى الأبد.

أما فيما يتعلق بالفرس، فقد كانوا يشجعون القبائل الموالية لهم على الإغارة باستمرار على المسلمين، الأمر الذي أدى إلى اتساع نطاق الصراع ليشمل الفرس، ولم تنته المعارك ضدهم إلا بعد أن حاقت بالفرس هزيمة نكراء لم يقم لهم بعدها قائمة[6].

بعد هزيمة الروم والفرس ترك المسلمون لتلك الشعوب كامل الحرية في أن يعتنقوا الإسلام أولايعتنقوه.

يقول كيرك إن غالبية أهل الشام ومصر السفلى ظلت مسيحية في القرن التاسع الميلادي رغم أن الإسلام كان قد مضى عليه في هذه البقاع أكثر من مئتي سنة[7].

ويقول رونالد أوليفر أن الإسلام شق طريقه إلى ماوراء الصحراء بفضل الثقافة والفكر والدعوة[8].

لم يجد الفرنجة إثر هزيمتهم على صلاح الدين من يأويهم حتى المدن التي كانت مازالت في حوزة الصليبين أغلقت في وجوههم؛ ففتح صلاح الدين لهم بلاد المسلمين ليعيشوا فيها بأمان وسلام في ظل الإسلام[9]. رغم ماذكرناه سابقاً من الحقد والبشاعة التي ارتكبوها بحق المسلمين.

ولو علمنا أن المغرب العربي بأسره تقريباً قد دخل الإسلام في عهد عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد الخامس دون قتال ولاحرب لأدركنا تماماً كيف أن الإسلام انتشر بالسلم لابالحرب .

ثم إن تاريخ المسلمين لحافل بالعدوان عليهم، إن لم يتوقف الاعتداء عليهم منذ فجر الدعوة حتى الآن.

فمنذ البداية وقفت قريش ضد الإسلام ومعتنقيه وحاربوهم واضطهدوهم، وليس ذلك يخفيّ على أحد.

أضف إلى ذلك موقف اليهود عبر الجزيرة كلها ومحاربتهم للإسلام والمسلمين والغدر بهم وخيانة العهود معهم واشتراكهم مع الأحباش والقرشيين وقبائل تهامة وغطفان وبني مُرَّة وأشجع ومدعي النبوة والمرتدين في حروب ضد الإسلام، والتي لم يترك الروم والفرس هذه الفرص تفوتهم فأسهموا بجنود من عندهم في هذه الغزوات.

وفي العصور الوسطى كانت الحروب الصليبية، وفي العصور الحديثة جاء الاستعمار الذي هيمن على بلاد الإسلام وابتز خيراتها ونهبها واستعبد شعوبها، وفي تاريخنا المعاصر غزا الاستعمار الجديد بلاد الإسلام أيضاً، وهو لايختلف عن الاستعمار القديم في أهدافه ولا في غاياته، إنما لبس ثوباً جديداً واتبع أسلوباً مختلفاً، وقام هذا النوع من الاستعمار بتنويع أهدافه بأن غرس

في قلب الوطن العربي الذي هو في الواقع قلب الوطن الإسلامي، غرس كياناً عنصرياً استيطانياً شرساً هو الكيان الصهيوني المحتل لفلسطين وتَحالف معه تحالفاً عضوياً وثيقاً.

هذا مايفسر كون القتال قد كتب على المسلمين وهو كره لهم[10].

هذا غيض من فيض من المواقف والسلوك والنهج الذي يدل على أن المسلمين لم يلزموا أحداً بدخول دينهم وأن الدعوة الإسلامية قامت على الحوار والتفكير والعقل، وأن الإسلام ينتعش وينمو في جو السلام والحرية. قال تعالى في كتابه العزيز حاثاً بني البشر على سلوك هذا السبيل للوصول إلى حقيقة الإسلام، وحقيقة الخالق عزَّ وجـل :

﴿أولم يتفكروا في أنفسهم ماخلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون ﴾

أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم. كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾.

[الروم 8 -9]

﴿ يُخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون * ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون * ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين * ومن آياته مَنَامَكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون * ومن آياته يريكم البرق خوفاً

وطمعاً وينزّل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون * ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ﴾.

{الروم 19- 25}

دعوة واضحة وصريحة لاستخدام الجهاز الألكتروني أو الحاسوب الرباني وهو الدماغ البشري في التأمل والتحليل والتركيب والاستنتاج، في اكتشاف قوانين الكون والعلاقات والنواميس على اختلافها: كيميائية كانت أم فيزيائية أم بيولوجية أم جيولوجية أم فلكية أم تاريخية .... إلى آخر ماهنالك من قوانين وأنظمة يتعرف الإنسان من خلالها على الحقيقة المطلقة، حقيقة الخالق عز وجل.

دعوة إلى دراسة الجسم البشري، فيزيولوجياً وسيكولوجياً «أنفسهم» وبيولوجياً لتكون هذه الدراسة

نقطة انطلاق نحو فهم الكون والوصول إلى الحقيقة الكونية المطلقة.

هذه الدراسة سوف تجعل الإنسان يكتشف بنفسه أن هذا الكون من سماء وأرضين ومابينهما من كواكب ومجرات ومافيهما من مخلوقات لاحصر لها ولاعد، بدءاً من المجهريات وانتهاء بمالم يستطع الإنسان حتى الآن إدراكها أو فهم كنهها، سوف يدرك أن هذا الكون ليس عبثاً وأن له خالقاً أوجده بالحق.

دعوة إلى دراسة التاريخ «السير في الأرض وإنعام النظر في مصائر من سبق من الشعوب والحضارات التي كانت أقوى وأشد بأساً منا وأكثر إعماراً للأرض: دراسة أسباب قوتها وأسباب ضعفها، أسباب نهوضها وأسباب انحطاطها وانهيارها، وذلك لاستخلاص العبر والدروس والإفادة منها في تلافي المزالق، وفي تعامل الإنسان مع الطبيعة ومع الكون ومع أخيه الإنسان لمتابعة السير في طريق الإعمار والبناء وإقامة العدل

وإشاعة السلام وتنشيط عملية التفاعل الحضاري الودي بين بني البشر في جو من الحرية والإخاء».

دعوة إلى دراسة الظواهر الطبيعية من حياة وموت، وإنبات، وليل ونهار، وفصول، وألوان بشر ولغات، ونوم ويقظة، وشتاء وصحو وبرق ورعد، وزواج وتكاثر، وحياة اجتماعية، وغير ذلك من ظواهر وعلاقات ليستخلص منها الإنسان مايوصله إلى الحقيقة، إلى الله جل جلاله، إلى الإيمان وإلى التحرُّر من عبودية الهوى والمادة والخرافات والخوف وكل أشكال العقد النفسية.

دعوة إلى تأمل آيات الله التي لايدركها إلا العَالِمين. إنها دعوة للعلم والمعرفة.

وهكذا نرى أن الدعوة إلى الإسلام تقوم على الإقناع والحوار واستخدام العقل، وليس على الإكراه والعنف.

وأن القرآن الكريم يتعامل مع الإنسان كمخلوق بشري يجمع بين عناصر الخير وعناصر الشر. ويتفاعل

في ذاته اتجاهان متناقضان، إن القرآن الكريم وضع للإنسان منهجاً يمكّنه من القيام بالأمانة التي تعهد بحملها وهي إعمار الأرض وممارسة الحرية والتوصل بفضل ذلك إلى معرفة خالقه جل جلاله، وحذره من مزالق تودي به إن سقط بها، ويتلخص منهج القرآن في التفاعل الودي بين البشر، وتفاعل البشر مع الطبيعة بمحبة وعلم لتعميم الخير وإحباط كل أنواع الشر.

الفصل الثاني

مفهوم الحرب والسلام

تتعدد وجهات النظر عادة بتعدد الإنتماءات الفكرية للأفراد أو الشعوب، فالقضية الواحدة يُنظر إليها من زوايا مختلفة باختلاف الأيدولوجيات، كما أسلفنا. حتى النظرة الجمالية للأشياء تختلف وتتنوع باختلاف المذاهب الفنية والفكرية وتنوعها. فمثلاً، يختلف مفهوم الفن والأدب من وجهة النظر الإشتراكية عن مفهومه من وجهة النظر الرأسمالية وعنه من وجهة النظر الإسلامية. وتنطبق هذه القاعدة على كل مناحي الحياة البشرية بما فيها الحرب والسلام.

الحرب برأي لينين على سبيل المثال، إما أن تكون مشروعة أو لا تكون، وإما أن تكون دفاعية ثورية أو لا تكون، وذلك وفقاً لأهدافها وبحسب الطبقة التي تشنها وتبعاً للسياسة التي تثيرها. فالحرب التي تعلنها القوى التقدمية الإشتراكية ضد القوى الإستعمارية والإمبريالية والرجعية التي تمثلها الرأسمالية تعد حرباً مشروعة وتدخل في اطار الثورة لصالح الطبقات الكادحة المسحوقة والشعوب المضطهدة. ومن هذا المنظور يعد

حلف وارسو حلفاً دفاعيا، في حين يُعد حلف الأطلسي {الناتو} حلفاً عدوانياً.

وبالمقابل يرى الرأسماليون أن الحرب ضد الشيوعية حرب مشروعة ولازمة لمنع التيار الإلحادي من الإنتشار، وكم استغلوا شعوباً مسلمة لزجها في مثل هذه الصراعات تحت شعار محاربة الإلحاد، دون أن تدري هذه الشعوب الأهداف الحقيقية للقوى الرأسمالية، تماما كما استغلت من قبل القوى الشيوعية لزجها في الصراع ضد الرأسمالية تحت شعار التحرر من الإمبريالية والإستعمار. ومن هذا المنظور يُعد حلف الأطلسي {الناتو} حلفاً دفاعيا في حين يعد حلف وارسو حلفا عدوانيا.

كل يسوّغ الحرب التي يشنها ضد الآخر، سواء كانت حربا باردة أم ساخنة.

ولهذا وجدنا أن المعسكرين {الشيوعي، الإشتراكي} والغربي {الرأسمالي} قد أيدا قيام الكيان الصهيوني المتمثل فيما يسمى بـ «إسرائيل» على أرضيةِ الإغتصاب والعدوان والعنصرية متجاهلين القتل والتشريد الذي حل

بالشعب الفلسطيني آنذاك، ذلك لأن كلا من المعسكرين اعتقد أن إقامة مثل هذا الكيان في فلسطين ربما يخدم استراتيجيته وأهدافه، كل من وجهة نظره. فالغرب رأى في الكيان الصهيوني رأس حربة وجسراً للهيمنة على المنطقة واستنزافها وإضعافها، الأمر الذي يساعد على الإحتفاظ بمصالحه فيها. والشرق رأى فيه بؤرة تقدمية وسط بحر من الرجعية الخاضعة للإمبريالية والإستعمار، وكان للكتلة الشرقية أمل كبير في الحزب الشيوعي الإسرائيلي في نشر الفكر التقدمي في المنطقة.

أما هيغل فيرى «أن الحرب المدمرة شرط أساسي للصحة الأخلاقية للشعوب. إذ بدون الحرب أو التهديد بالحرب، ربما يواجه شعب خطر فقدان الحس بالحرية، وبالتالي فإنه يستسلم للحياة المادية. كما أن السلم الذي يدوم طويلاً ربما يقود أمةً إلى ضياع مطبق. إن إثارة الروح تحمي مياه البحيرات من الأسن، ولا يمكن تسوية النزاعات بين الأمم إلاّ بالحرب».

باختصار، يرى الماديون «شيوعيون ورأسماليون» أن الحرب علاج للشعوب وأنها ظاهرة صحية، لذلك

اقترن مفهوم البطولة لديهم بالحرب وبالإنجازات المادية. أما الإسلام فيرى أن الحرب ظاهرة غير مرغوب فيها. الأصل في الحياة البشرية هو التفاعل السلمي والحضاري، أما القتال أو الإقتتال فهو خروج عن الأصل وانحراف عن المسار الطبيعي الذي ينبغي للشعوب سلوكه من أجل تحقيق رسالة الإنسان في الأرض. جُعل الإنسان خليفة في الأرض، والخليفة الذي يختاره الله ينبغي له أن يبني ولا يهدم، أن يُعمّر ولا يخرب. وبالتالي فإن السلام هو الظاهرة الصحية للمجتمعات البشرية في نظر الإسلام. لا شك أن في الإنسان نوازع وغرائز مختلفة ربما يؤدي بعضها إلى الإقتتال، خصوصاً إذا ما تركت دون رادع أو وازع. لهذا جاء القرآن الكريم ليصعِّد الغرائز والميول وينظم حياة الإنسان كي تصل إلى المستوى الذي يجعل منه بانيا لاهدّاما. فوصف القتال بأنه «كره للمؤمنين»، وأطلق عليه اسم الجهاد لأنه نوع من المعاناة طالما أن الغاية منه لا ينبغي أبداً أن تكون التوسع أو إيجاد مجال حيوي، كما هو الحال عند أصحاب النظريات المادية، ولا ينبغي أن تكون غايته قهر

النفس وحرمانها وعزلها عن مجتمعها وأرضها وطبيعتها، كما هو الحال عند أصحاب النظريات الروحية المحضة.

إن التاريخ، بكل وقائعه، يثبت أن المسلمين ما خاضوا قط حربا عدوانية ضد أي شعب أو أي بلد. بل على العكس، كانو دائماً عرضة للعدوان، وما زالوا حتى يومنا هذا. فالحرب، كما ذكرنا، مع الروم والبيزنطيين والتتار والمغول والصليبيين والإستعماريين والإمبرياليين والصهاينة كان سببها عدوان هؤلاء على أمتنا ووطننا وديننا، واضطرارنا للدفاع عن أنفسنا وإحباط مخططات الأعداء الهادفة إلى قهرنا واستغلال طاقاتنا واستنزاف ثرواتنا بهدف تحقيق أطماعهم التوسعية، وتنشيط حياتهم الإقتصادية والتجارية على حساب عَرَق أبنائنا وجهدهم ودمهم.

وما الحرب الطويلة المريرة التي نخوضها اليوم ضد الصهاينة المحتلين لفلسطين إلا دفاعاً عن كياننا وذاتنا وديننا ووجودنا. فهل نحن الذي اعتدينا على بريطانيا وفرنسا كي يمزقوا بلادنا انتقاما؟ هل نحن الذي اعتدينا على أمريكا كي تتبنى ما يسمى «بدولة إسرائيل» بعد أز

ولّدتها بريطانيا؟ العكس هو الصحيح. نحن ضحية تحالفنا معهم. قدمنا لهم كل شيء فقدموا لنا الطعنات والمؤامرات والإحتلال والتشريد، والإغتصاب والإذلال ... إلى أخر قائمة المصطلحات في ميدان قهر الإنسان.

العرب والمسلمون لا يقاتلون إلا دفاعاً عن السلام ومن أجل حقوق الإنسان وحريته، وأقامة العدل. والآية الكريمة التالية لأكبر دليل على أن الحرب مكروهة أصلاً، ولكنها مفروضة على المسلمين من قبل أعدائهم، الأمر الذي جعلها كتاباً على المؤمنين:

﴿كُتبَ عليكم القتال وهو كره لكم، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾.

{البقرة 216}

الحرب إذن كره للمؤمنين، ولكنها عندما تكون دفاعاً عن العقيدة وفي سبيل الله تؤدي إلى إشاعة السلام وتعزيز التفاعل الودي بين الشعوب. وفي ذلك خير للبشرية جمعاء وليس للمسلمين وحدهم.

الفصل الثالث

الأسباب الموجبة

لإعلان الجهاد

يُعلن الجهاد في الحالات التالية:

1 - الدفاع عن النفس والرد على المعتدين[11] قال تعالى :

﴿ الشهر الحرامُ بالشهر الحرام والحرمات قصاص، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اَعتدى عليكم، واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ﴾.

{البقرة 194}

ندرك من هذه الآية الكريمة أنه حتى في حالة رد العدوان ينبغي على المسلمين ألاَّ يكونوا قساة، بل عليهم أن يكونوا رحماء، لا يتجاوزون حدود الله. عليهم أن يتقوا الله في الإنسان الذي كرمه الله على العالمين وكرَّم حياته. الإسلام يحرص حرصاً شديداً على المنجزات الحضارية التي يحققها الإنسان، ويحث على التفاعل الودي والتعاون السلمي سواء كان ذلك بين الأفراد أو بين الجماعات أو بين الشعوب أو بين الأمم.

2 - الدفاع عن الإسلام وعن حرية الإنسان بما في ذلك حرية التفكير والمعتقد. قال تعالى في كتابه العزيز:

﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام، وإخراج أهله منه أكبر عند الله، والفتنة أكبر من القتل، ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا، ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ﴾.

(البقرة 217)

3 - تأديب الذين ينقضون العهود والمواثيق المعقودة مع المسلمين. قال تعالى:

﴿ وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعَنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر، إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون * ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدؤوكم أول مرّة، أتخشونهم؟ فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ﴾.

(التوبة 12- 13)

في هذه الآية تحذير خطير جاء بصيغة سؤال فيه استهجان كبير «أتخشونهم؟ فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين» المؤمنون لا يخشون العدو، ولا ينبغي لهم أن يخشوه بأية حال من الأحوال. الخشية فقط من الله. هل نخشى هزيمة أمام العدو ولا نخشى هزيمة أمام الله؟ إن مخالفة هذه القاعدة تجعل المسلمين يسامون عذاباً وتضرب عليهم الذلة. الله يحذرنا من الوقوع في هذه المعصية. يكاد الإيمان يهجر قلوب المؤمنين، فيخرجون عن الإيمان ويدخلون دائرة الكفر، إن حلت فيهم خشية العدو بدلاً من خشية الله، ويفقدون بذلك أهم عناصر النصر والحرية والكرامة. وهذا ما أصيبت به أمتنا اليوم. خشية ما يسمى بـ «إسرائيل» ومن هم وراء إسرائيل عشّشت في قلوب القادة وعقولهم وانتشرت في صفوف الناس، فهانت أمتنا على العدو واستهتر العدو بنا أيما استهتار. ولا يحتاج ذلك إلى توضيح أو شواهد فهي أوضح من الشمس وأكثر من أن تحصى، نراها يومياً ونسام عذابا منها كل ساعة من ساعات النهار والليل. وقال تعالى مؤكداً على ضرورة قتال ناقضي العهود :

﴿ إن شرَّ الدواب عند الله الذين كفروا منهم لا يؤمنون * الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون * فاما تثقفنُّهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذَّكرون * وإما تخافنَّ من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء، إن الله لا يحب الخائنين ﴾.

{الانفال 55- 58}

4 – منع الفتنة والشقاق اللذْينَ يحاول الأعداء إثارتهما بين المسلمين بهدف تحطيم وحدتهم وهدم كيانهم. قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾.

{البقرة 193}

﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير ﴾.

{الانفال 39}

5 – الدفاع عن المضطهدين والبؤساء والمظلومين والمحرومين. قال جل جلاله في قرآنه الكريم:

﴿ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربَّنا أخرِجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لَدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيراً * الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت، فقاتلو أولياء الشيطان، إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾.

{النساء 75- 76}

تساؤل استنكاري، استهجان واستغراب من رب العالمين وهو يخاطب الإنسان الذي قبل الأمانة وتحمل مسؤولية الحرية، خصوصاً أولئك الذين آمنوا بالله ورضوا دينه منهجاً لهم في الحياة، كيف يقبلون أن تُقَيَّد حريتهم، وأن تُمتَهنَ كرامتهم، وأن يسكتوا على ظلم يقع عليهم أو على أي من إخوتهم بني البشر. استنهاض للهمم، وتثوير للنفوس، وحث على نصرة المظلومين. لقد قرن الله سبحانه وتعالى القتال في سبيل المستضعفين بالقتال في سبيل الله، جعله جهاداً في سبيل الله، ثم ربط

الإيمان بالجهاد في سبيل الله «الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله»، وربط الكفر بالقتال في سبيل الطاغوت «والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت». من كان مؤمناً فليقاتل في سبيل المستضعفين الذي هو سبيل الله، وإلا فإنه ينحاز إلى فئة المقاتلين في سبيل الطاغوت الذي هو سبيل الكفر والهوان. السكوت على الظلم، سواء كان خوفاً على حياة أو على رزق أو على منصب، أو جاه، أو كان ذلك نفاقاً، أو عدم مبالاة ليس إلا اشتراك في جريمة انتهاك حرمة الإنسان وحريته التي منَّ الله عليه بها، فالله أحق من الطواغيت أن يخشاه المؤمنون.

مما سبق نستنتج أن غاية الجهاد ليست التوسع ولا إيجاد مجال حيوي، ولا إجبار الناس على دخول الإسلام، ولا الهيمنة على الشعوب؛ بل غايته تحرير الإنسان من كل أشكال العبودية والإستغلال والإضطهاد والهيمنة، وإيجاد الظروف الملائمة للتعايش السلمي والتفاعل الحضاري على أسس من الاخوَّة الإنسانية والمحبة والسلام.

الفصل الرابع

حُكمُ الجهاد وفضلُه

1 - حكم الجهاد:

الجهاد بمعناه الشامل فرض عين على كل مسلم ومسلمة، بمعنى أن كل فرد عليه الإسهام في عملية التغيير الداخلي «الذاتي» والخارجي «الاجتماعي» التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ ... لايغيِّرُ مابقوم حتى يُغيِّروا مابأنفسهم... ﴾.

وذلك من أجل أن تستمر عملية الإعمار التي كلف الله بها الإنسان منذ استخلافه في الأرض، ومن أجل إنجاز عملية الإخراج من الظلمات إلى النور.

والجهاد فرض عين حتى بمفهوم القتال «خوض معركة مُسَلَّحَة ضد عدو»، أي أن على كل فرد من المجتمع المعتدى عليه القيام بدور فاعل لتحقيق النصر على المعتدين. ويشمل ذلك جميع مناحي الحياة والعمل، من حمل للسلاح، وتعليم، وتنشيط للاقتصاد، ورعاية للمصالح العامة والخاصة في البلاد، ومن رفد مادي ومعنوي وبشري للمقاتلين، وضمان استمرار عناصر

الصمود وتعزيزها بكل وسائلها ومقوماتها. أما حمل السلاح بالذات فهو فرض كفاية يقوم به البعض. بيد أن دخول العدو أرض الوطن يوجب حمل السلاح على كل قادر عليه: رجالاً ونساء حتى دون أن يستأذن الصبي أباه أو الزوجة زوجها أو البنت أهلها، ولايُعفى من ذلك إلا من كان له أب أو أم بحاجة إلى رعايته التي بدونها ربما يهلكان.[12] قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾.

(التوبة 122)

نرى من هذه الآية أن الذين لايخرجون للقتال «أي الذين لايحملون السلاح» يترتب عليهم واجب آخر في الداخل كالتربية والتوجيه والإعداد النفسي وغير ذلك مما أشرنا إليه سابقاً.

2 - فضل الجهاد :

للجهاد فضل كبير ينعكس على الفرد وعلى الأمة وعلى البشرية جمعاء طالما أن الجهاد شرع لتحرير الإنسان، ولكونه مدافعة للشر واستجلاباً للخير، قال تعالى في كتابه العزيز :

﴿ فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيُقتَل أو يَغلِب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ﴾.

{النساء 74}

الإسلام لايعرف قتالاً إلا في سبيل الله، إنه لايعرف القتال للغنيمة ولايعرف القتال للسيطرة ولا للمباهاة، إن الله يريد أن يتحقق العدل والخير والحق في هذه الأرض، وأن يتحقق هذا كله بيد الإنسان ليكون مستحقاً لخلافة الله في الأرض، ومستحقاً لثمرات العدل والحق والخير، فالإنسان لايستمتع بهذه الثَّمرات ولايعرف قدرها إلا إذا بذل في سبيلها مابذل من التضحيات ... وذلك في سبيل الله الذي لايُعترف للمسلم بالجهاد إلا فيه، فليقاتل في سبيل الله أولئك الذين يبتغون

الآخرة ويشرون بها الدنيا، ليقاتلوا في سبيل الله ليرتفعوا عن مستواهم الهابط الذي هم فيه، ليرتفعوا إلى المستوى اللائق بالإنسان خليفة الله في هذه الأرض، ليقاتلوا ولن تذهب جهودهم وتضحياتهم بلا جدوى أو بدون مقابل، فإن من يقاتل في هذا السبيل، بهذه النِّية، ولتلك الغاية ثم يستشهد بالقتل أو يكتب له النصر والغَلَبة، فله في كلتا الحالتين أجر عظيم، أجر ينطوي على كل ماتنتظره الأنماط المتعددة من نفوس الناس، من ألوان الأجر في الدنيا والآخرة سواء[13]. وقال تعالى في سورة التوبة :

﴿ ماكان لأهل المدينة ومَن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولايرغبوا بأنفسهم عن نفسه، وذلك بأنهم لايصيبهم ظمأ ولانصب ولامخمصة في سبيل الله ولايطؤون موطئاً يغيظ الكفار ولاينالون من عدو نيلاً إلاكتب لهم به عمل صالح، إن الله لايضيّع أجر المحسنين * ولاينفقون نفقة صغيرة ولاكبيرة ولايقطعون وادياً إلا كُتب لهم ليجزيهم الله أحسن ماكانوا يعملون ﴾.

[التوبة 120 - 121]

تؤكد هاتان الآيتان الكريمتان أن أي عمل يقوم به المرء لقهر المعتدين ودحرهم والنيل منهم يعد جهاداً يجزى عليه الفرد والمجتمع في الدنيا وفي الآخرة، سواءً كان ذلك جوداً بالنفس أو المال، أو صبراً على متاعب القتال ومصاعب المعارك وخطورتها، أو تحملاً لظمأ أو تعرضاً لنقص في المال أو الممتلكات، أو كان ذلك خطوة لتعزيز الصمود وإلحاق الهزيمة بالمعتدين، إن فضل الجهاد بمختلف أشكاله ووسائله يعم الجميع قال تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبةً في جناتِ عدن، ذلك الفوز العظيم * وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب، وبشر المؤمنين ﴾.

{الصف 10- 13}

﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً، بل احياءٌ عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون * يستبشرون بنعمة من الله وفضل، وأن الله لايُضيْعُ أجر المؤمنين * الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للّذين أحسنوا منهم واتقَوْا أجر عظيم * الذين قال لَهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشُوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل * فانقلبوا بنعمة من الله وفضلٍ لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله، والله ذو فَضل عظيم * إنما ذلكم الشيطان يُخوّفُ أولياءه، فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين ﴾.

[آل عمران 169- 175]

فليطمئن المؤمنون المجاهدون، إن مواجهة العدو والتصدي له والبذل في سبيل الله جهاداً، لا يُنقص مالاً

ولا يضعف اقتصاداً. لأن نُصرة المظلوم وإقامة العدل، وتحرير الإنسان لا شك يؤدي إلى الازدهار الاقتصادي وتوطيد السلم والأمان وتنشيط عملية التفاعل الحضاري بين البشر.

وفي ذلك كله تعويض رابح جداً عن كل ما يمكن أن يُبذل في عملية الجهاد، تتضمن الآيات السالفة إشارة مضيئة والتفاتة قوية رائعة تؤكد صفة من صفات المجاهد لازمة لا تفارقه وهي أنه لا يخشى العدو مهما بلغت الدعاية حوله من قوة ومهما بلغ مؤيدوه من كثرة ومهما بلغت عدته من تفوق، إذ إن الخوف إذا ما تطرق الى قلب المجاهد فإنه يخرجه من دائرة الإيمان ليدخله في موالاة الشيطان، أما الذين لا يخافون إلاَّ الله فأولئك هم المؤمنون.

وقد أكد الرسول ﷺ فضل الجهاد في أحاديث نبوية شريفة كثيرة نقتبس منها ما يلي:

1 - «خ م ت - أنس بن مالك رضي الله عنه» أن رسول الله ﷺ قال :

«لغَدوَةٌ في سبيل الله أو رَوحةٌ خير من الدنيا وما فيها».

{أخرجه البخاري ومسلم}

2 - «ت - أبو هريرة رضي الله عنه» قال مَر رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بِشعْب فيه عُيَيْنَة من ماء عذب فأعجبته لطيبها فقال :

«لو أَقمت في هذا المكان أعبد الله، وأعزلُ شرّي عن الناس؟» سأستأذن في ذلك رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فقال رسول ﷺ :

«لا تفعل. فإن مَقام احدكم في سبيل الله ساعة، أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً، ألا تحبون أن يغفر الله لكم فيدخلكم الجنة؟» "قالوا: "بلى"، قال" :

«فاغزوا في سبيل الله، فإن من قاتل في سبيل الله فُواق ناقة، لتكون كلمة الله هي العليا،

وجبت له الجنة، والغدوة في سبيل الله،أو الروحة، خير من الدنيا وما فيها.».

أو قال:

«خير مما طلعت عليه الشمس».

أخرجه الترمذي إلى قوله «وجبت له الجنة» وليس في روايته "ساعة" ولا " لتكون كلمة الله هي العليا". رواه الترمذي تحت رقم (1650) في فضائل الجهاد.

3 - «خ م ت - سهل بن سعد رضي الله عنه» أن رسول الله ﷺ قال:

«رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروْحَةُ يروحها العبد في سبيل الله، أو الغَدْوَةُ، خير من الدنيا وما عليها».

وفي روايته "وما فيها"، أخرجه البخاري ومسلم والترمذي ورواه البخاري 6/11 و 63 ورواه مسلم تحت رقم 881، والترمذي 1664

4 - «م ت س - محمد بن المنكدر رحمه الله»
قال :

«مَرَّ سلمان الفارسي بِشُرَحْبيل بن السِّمْطِ وهو مرابَط له، وقد شقَّ المقال عليه وعلى أكثر أصحابه، فقال لهم سلمان: ألا أُحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قالو: بلى، قال: سمعته يقول :

«رباط يوم في سبيل الله أفضل - أو قال : خير - من صيام شهر وقيامه، ومن مات مرابطاً وُقِيَ من فتنة القبر وفتَّانيه، ونما له عمل إلى يوم القِيامة».

أخرجه الترمذي ولم يذكر «فتَّانيه»، وأخرج مسلم والنسائي المسند فقط، وهذا لفظهما، قال سلمان: سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجرى عليه رزقه، وأَمِنَ الفُتَّان».

وفي رواية النسائي قال :

«من رابط يوماً وليلة في سبيل الله، كان له كأجر صيام شهر وقيامه، ومن مات مرابطاً جرى له مثلُ ذلك من الأجر، وأُجريَ عليه الرزق، وأَمِنَ الفُتّان».

رواه مسلم برقم 1913 ، والترمذي برقم 1665 ، والنسائي برقم6/39.

5 - «ت - عبد الله بن عباس رضي الله عنه» قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله».

{أخرجه الترمذي برقم 1639}

6 - «س - أبو ريحانة رضي الله عنه» قال: سمعت النبي ﷺ يقول :

«حُرِّمت عين على النار سهرت في سبيل الله».

{أخرجه النسائي برقم 6 / 15}

7 - «د - أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه» أن رسول الله ﷺ قال :

«من لم يَغْزُ، ولم يُجهِّز غازيا، أو يُخَلِّف غازيا في أهله بخير، أصابه الله بقارعة».

زاد في رواية :

«قبل يوم القيامة».

{أخرجه أبو داود برقم (2503) }[14]

الفصل الخامس

أخلاقية الجهاد

انطلاقا من طبيعة الإسلام وأهدافه كان لا بد للجهاد من أخلاقية يتميز بها عن سائر ما يندرج تحت اسم القتال أو الحرب أو غير ذلك من مسميات؛ نوجز هذه الأخلاقيات فيما يلي:

1 - قبل إعلان الجهاد "الحرب" ضد أية مجموعة بشرية أو أية بلاد ينبغي على المسلمين إنذار الخصم أو العدو ودعوته إلى السلم، فإذا ما استجاب إلى الدعوة، انتفت الحرب وساد السلم، أما إذا رفض ذلك تصبح الحرب أمراً لا مفرَّ منه وحلاً لا مندوحة عنه.

قال تعالى في كتابه العزيز :

﴿ قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف، وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين * وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير ﴾.

[الأنفال 38- 39]

وكانت حكاية سمرقند مثلاً حياً في التاريخ وموقفاً عملياً تطبيقياً لهذه الاخلاقية لم يشهد مثله التاريخ الانساني حتى الآن.

2 - عندما يخوض المسلمون قتالاً فإنهم يحصرون أهدافهم في المقاتلين وفي مصادر القوة العسكرية للعدو، دون التعرض للمدنيين بل أكثر من ذلك يقوم المقاتلون المسلمون بحماية المدنيين وبمعاملتهم معاملة إنسانية[15] قال رسول الله ﷺ :

«د - أنس بن مالك رضي الله عنه» أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث جيشاً قال :

«انطلقوا باسم الله، لا تقتلوا شيخاً فانيا ، ولا طفلاً صغيراً، ولا امرأة، ولا تَغُلُّوا ، وضُموا غنائمكم، وأصلحوا وأحسنوا ، إن الله يحب المحسنين».

{أخرجه أبو داود برقم 2614}[16]

3 - تحريم السلب والنهب والمثلة،

قال رسول الله ﷺ:

«د - عاصم بن كليب رحمه الله» عن أبيه عن رجل من الأنصار قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فأصاب الناس حاجةٌ شديدةٌ وجُهد، فأصابو غنما، فانتهبوها، فإن قدورنا لتغلي إذ جاء رسول الله ﷺ يمشي على قوسه، فأكفأ قدورنا بقوسه، ثم جعل يُرَمِّلُ اللحم بالتراب، ثم قال:

«إن النُّهبة ليست بأحَلَّ من الميتة - أو إن الميتة ليست بأحل من النهبة - الشك من هنّادٍ، وهو ابن السريّ».

[أخرجه أبو داود برقم 2705][17]

وقال أيضاً:

«ط - مالِك بن أنس رضي الله عنه» بَلَغَهُ: أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامل من عماله: إنه بَلَغَنَا أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث سَرِيَّةً يقول لهم:

«إغزوا باسم الله، في سبيل الله، تقاتلون من كفر بالله، لا تَغُلّوا ولا تغدروا، ولا تمثّلوا ولا تقتلوا وليداً، فقل ذلك لجيوشك وسراياك، إن شاء الله، والسلام عليك».

(أخرجه الموطأ برقم 2 /448)[18]

4 - منع تخريب الممتلكات المدنية والطعام:

«ط - يحيى بن سعيد رحمه الله» : أن أبا بكر رضي الله عنه بعث جيوشاً إلى الشام، فخرج يُشَيِّعُهم: فمشى مع يزيد بن أبي سفيان، وكان أمير رُبع من تلك الأرباع فقال لأبي بكر: إما أن تركب وإما أن أنزل فقال له: ما أنت بنازل ولا أنا براكب، إني أحتسب خُطاي في سبيل الله، ثم قال: إنك ستجد قوماً زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فدعهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له، وستجد قوماً فحصوا عن اوساط رؤوسهم الشعر، فاضرب ما فحصوا عنه بالسيف، وإني موصيك بعشر لا تقتلنَّ إمرأة، ولا صبيا، ولا كبيراً هرما، ولا تقطع شجراً مثمراً، ولا تخربَنَّ عامراً، ولا تعقرن شاةً ولا بعيراً إلا

لمأكلة، ولا تغرِّقن نخلاً ولا تحرِّقنَّهُ، ولا تَغلُوا، ولا تَجبُنْوا».

{أخرجه الموطأ برقم 2 / 447 و 448}[19]

نلاحظ مما سبق أن الاسلام يحترم الإنسان ويكرمه، احتراماً وتكريما لم ترقَ إليه أية أيدولوجيات قديمة أو حديثة أو معاصرة. الإسلام ينظر إلى البشرية على أنها وحدة إنسانية، فلا يجوز الحقد، ولايجوز خوض الحرب طمعاً في شيء، سوى تعزيز كرامة الإنسان وتحريره.

كان رسول الله ﷺ حريصاً أن يُعلن الرحمة حتى في ميدان القتال، وأن يُعلن الوحدة الإنسانية والسيوف مرهفة للضرب، إذ كان ﷺ يقول في دعائه عند ابتداء الحرب:

«اللهم إنا عبادك وهم عبادك، نواصينا ونواصيهم بيدك، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم».[20]

باختصار، نجد أن الإسلام قد نهى عن قتل غير المقاتلين كرجال الدين والنساء والشيوخ والأطفال والعمال وغيرهم من المدنيين، إلا إذا اشتركوا في القتال برأيهم، أو مالهم، أو أنفسهم، أو بالتحريض، أو بالإعلام. كما نهى عن إبادة الجنس وتدمير المعالم الحضارية من زرع أو بناء أو ثقافة إلا إذا كان ذلك يخدم أغراضاً حربية للعدو، أو يؤدي إلى أهداف تخريبية ينوي العدو تحقيقها.

فالقتل، إذن والتخريب لمجرد إرواء غليلٍ أو حقد، أو انتقام، فغيرُ جائز إطلاقاً، وهذا يقودنا إلى تحريم الأسلحة النووية والكيماوية وغيرها مما ينزل الدمار بالمقاتلين وغير المقاتلين، وبالمواقع الحربية والمدنية وبالنبات والحيوان والانسان على حد سواء.

أين حضارة اليوم من حضارة الإسلام؟ حضارة اليوم حضارة دمار، في حين حضارة الإسلام حضارة إعمار، حضارة اليوم إرهاب وإذلال للإنسان، أما حضارة الإسلام فتكريم للإنسان وتأمين له وتطمين.

هل ينسى التاريخ ما حدث في أيامنا المعاصرة ؟ ما حل بمخيم تل الزعتر، ومخيمي صبرا وشاتيلا ومخيم برج البراجنة ومخيم الرشيدية في لبنان، ومخيمات اللاجئين الفلسطينيين أيضاً في الضفة الغربية وقطاع غزة على أيدي العرب واليهود على حد سواء من قتل وحصار وتجويع وإرهاب وإبادة ؟ ! هل كان ذلك ليحصل لو تحلى المتخاصمون أو المتحاربون بروح الحضارة الإسلامية ؟ !

5 - وقف إطلاق النار إذا ما أوقف العدو إطلاق النار، وقبول عرض السلام من العدو. وهنا لا بد من التمييز بين ما هو سلام وما هو استسلام، فإذا ما كان العدو منتصراً ومحتلاً لأرض من دار الإسلام، فإن أي عرض منه تحت اسم السلام لا يعني سوى استسلام المسلمين وخضوعهم، أما عندما يكون المسلمون منتصرين، وأرضهم نظيفة من أي احتلال أو هيمنة، وعرض العدو وقفاً لإطلاق النار أو سلاماً، عندئذ يقبل المسلمون هذا العرض، ولهذا فإن الحديث عن السلام مع

العدو الصهيوني يعد خرقاً لهذه الأخلاقية الجهادية، لأن العدو ما زال يحتل فلسطين وأجزاء أُخرى من الأراضي العربية.

ويتوقف القتال أو تنتهي الحرب في الحالات التالية:

أ - استنفاذ أغراض الحرب لدى المسلمين.

ب - الموادعة (وهي هدنة مؤقتة) وتكون في الأحوال التالية :

1- بطلب العدو شريطة ألاَّ يكون ذلك لحيلة أو لمحاولة منه لاستعادة ترتيب صفوفه واستقدام عناصر قوة، وشريطة ألاَّ يُشتم منه مضرة بالمسلمين، إضافة إلى الشرط الأساسي السالف الذكر في الفقرة السابقة وهو نظافة أرض دار الإسلام من أي احتلال من قبل العدو .

2 - في الأشهر الحرم وهي: ذو القعدة، وذو الحجة، ومُحَرَّم «وهي أشهر الحج والعودة منه»، وشهر

رجب، شريطة ألا يترتب على ذلك أية مخاطر على المسلمين، وفي حال طلب المسلمين وقف القتال في هذه الأشهر، ورفض العدو هذا الطلب، فإن على المسلمين متابعة القتال.

«أنظر سورة التوبة، الآية 36» قال تعالى أيضاً في السورة ذاتها :

﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مَرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلّوا سبيلَهم، إن الله غفرو رحيم ﴾.

{ التوبة 5}

وقال عزّ وجل في كتابه العزيز:

﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اَعتدى عليكم، واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ﴾.

{البقرة 194}

وفي تاريخنا ما يدل على أن الحرب استمرت في الأشهر الحرم بين المسلمين والفرس لأن الفرس لم يكونوا يؤمنون بالأشهر الحرم ولا بالإسلام اصلاً فلم يوقفوا الحرب فتوجب على المسلمين متابعة القتال.

3 – عند عقد صلح دائم.

4 – في حال استسلام العدو.[21]

قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله، إنه هو السميع العليم * وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله، هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ﴾.

{الانفال 61 – 62}

﴿ فلا تهنوا وتدعوا إلى السّلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتِركم أعمالكم ﴾.

{ محمد 35}

6 - حفظ المواثيق والعهود التي يبرمها المسلمون مع غيرهم:

قال تعالى في كتابه العزيز:

﴿ إلا الذين عاهدتم من المُشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم، إن الله يحب المتقين ﴾.

{ التوبة 4}

﴿ كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين ﴾.

{ التوبة 7}

﴿ ليس البرَّ أن تولوا وجوهكم قبَل المشرق والمغرب، ولكنَّ البرَّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل

والسائلين وفي الرقاب، وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، أولئك الذين صدقوا، وأولئك هم المتقون ﴾.

{ البقرة 177 }

لقد وردت مسألة الوفاء بالعهد في سياق ذكر أسس الإيمان وقواعد البر. اقترنت بالإيمان بالله، وكتبه وبرسله وباليوم الآخر، وبإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وبالصبر والصدق، وصفة من اتبع ذلك هي التقوى، إذ لا يدخل المرء حيز التقوى دون أن يتحلى بمثل هذه الصفات، وقد وعد الله أمثال هؤلاء ومن يخشون ربهم جنات عَدْن يدخلها عليهم الملائكة من كل باب، أما الذين ينقضون العهد فقد جعل الله لهم لعنة وسوء الدار.

قال تعالى في كتابه العزيز:

﴿ الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق * والذين يصلون ما أمر الله به أن يُوصَل

ويخشَوْن ربهم ويخافون سوء الحساب * والذين
صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا
مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة
أولئك لهم عقبى الدار * جنات عدن يدخلونها
ومن صَلَح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم بما
صبرتم فنعم عقبى الدار * والذين ينقضون عهد
الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن
يوصل ويُفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم
سوء الدار ﴾.

{ الرعد 20 - 25}

﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا
الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا،
إن الله يعلم ما تفعلون ﴾.

{ النحل 91}

قال رسول الله ﷺ :

«د س - أبو بكرة رضي الله عنه» قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«من قتل معاهداً في غير كنهه، حَرَّم الله عليه الجنة».

{أخرجه أبو داود برقم 2760 ، وورد في النسائي برقم 8 / 24 ، 25}

«خ س - عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما» قال : قال رسول الله ﷺ :

«من قتل معاهداً لم يُرَحْ رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة اربعين عاماً».

{رواه البخاري برقم 193/6، 194}

«ت - أبو هريرة رضي الله عنه» أن النبي ﷺ قال:

«ألا من قتل نَفْساً مُعاهَدَة له ذمة الله ورسوله، فقد أخفر بذمة الله، فلا يُرَحْ رائحة الجنة، وأن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً».

{أخرجه الترمذي برقم 1403 وابن ماجه برقم 2687}

«د - صفوان بن سليم رحمه الله» عن عدةٍ من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ عن آبائهم (دِنْيَةً) أن رسول الله ﷺ قال :

«ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسٍ، فأنا حجيجُه يوم القيامة».

{أخرجه أبو داود برقم 3052}(22)

وقال أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) :

«لا تغدروا إذا عاهدتم، ولا تنقضوا إذا صالحتم».

7 - عندما يحرز المسلمون النصر وينهون بذلك الحرب، عليهم أن يتصرفوا على الوجه التالى :

أ - عدم التفاخر والتباهي بالنصر كيلا يُطعن العدو بكرامته أو تجرح مشاعره الإنسانية، ذلك لأن معاملة العدو معاملة إنسانية تقوم على الاحترام والحسنى، ربما تؤدي إلى إزالة المشاعر العدائية بين المتقاتلين، وإشاعة المحبة والود تجاه المسلمين، الأمر

الذي يُفسح المجال لإيجاد المناخ الملائم لنمو علاقات إنسانية وتفاعل حضاري ودي بين الشعوب حتى التي كان بينها عداء وقتال.

ذلك لأن الإسلام يرى أن الحرب تقوم بين أنظمة وحكام وجيوشهما، وليست بين الشعوب، ولأنه يرى أن السلم والتفاعل الحضاري هما الأصل في الحياة البشرية على هذه الكرة الأرضية، وأن الحرب أمر طارئ وشاذ وعارض.

إن هذا المسلك لا يتحقق فعلاً إلا إذا أقيم العدل وشمل الناس جميعاً من كلا الفريقين المتقاتلين، وساد القانون الجميع بحيث يكون للمغلوب ما للغالب من حقوق وواجبات ولا يُكَلَّف المغلوب بما لا يطيق.

قال تعالى في كتابه العزيز:

﴿ الذين إن مكَّنَّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ولله عاقبة الأمور ﴾.

{الحج 41}

ب - معاملة الأسرى بالحسنى أو إطلاق سراحهم بالمعروف، وعدم قتلهم.

قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا ، فضرب الرقاب، حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق، فإما منّاً بعد وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها ، ذلك؛ ولو يشاء الله لانتصر منهم، ولكن ليبلّو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضلَّ أعمالهم ﴾.

{ محمد 4}

من المفيد هنا أن نقارن بين ما فعله المسلمون بأسراهم، وما فعله أعداؤهم بأسرى المسلمين ليظهر الفرق الكبير في المضمون الإنساني بين الحضارة الإسلامية وغيرها من الحضارات.

وجد صلاح الدين الأيوبي أن لديه من الأسرى ما لا يستطيع إطعامهم، فأطلق سراحهم، ومع ذلك عادوا

لقتاله. فقال معلقا على ذلك:

«خير لنا أن نقتلهم في المعركة من أن نقتلهم جوعاً أو نذبحهم وهم لاحول ولا قوة في أيدينا أسرى عاجزين».

أما ريكاردوس قائد جيش الصليبيين فقد أعطى عهداً لثلاثة آلاف مسلم ألا يقتلهم إن هم استسلموا، ولكنه قتلهم جميعاً عندما استجابوا لعهده.

وعندما فتح الصليبيون القدس، خاضوا في دماء المسلمين وبين جماجمهم حتى الرُّكب؛ في حين أن عمر بن الخطاب أعطى أهلها الأمان عندما فتحها، ونهى المسلمين عن إلحاق أي أذى بالمسيحيين وغيرهم من غير المسلمين سواء في أنفسهم أو عقائدهم أو أموالهم.

كذلك قام نابليون بونابرت بإبادة أسرى المسلمين في موقعة عكا إبادة تامة، إن قتل الأسرى أو السجناء ليس من الإسلام في شيء وخروج عن أصوله ومبادئه لدرجة أن من يرتكب مثل هذا العمل يخرج من دائرة الأبرار ليدخل دائرة الأشرار.

الفصل السادس

مبادئ الجهاد

وعوامل النصر

للنصر عوامل وعناصر ومقومات لا بد من توفرها، وللجهاد مبادئ لا بد من اتباعها كي تتحقق الغاية منه وكيلا تصاب الأمة بنكسة تودي بها إلى مهاوي الذل والإنهيار، فيتقاوى عليها أعداؤها فينهشون جسدها ويقضمون ديارها ويستنزفون مواردها وينهبون ثرواتها ويستعبدون أبناءها، وبالتالي يعم الظلم في الأرض، وتشيع العبودية المقنعة، ويسود الباطل ويخبو الحق.

إن سنن النصر والهزيمة ثابتة، فمن اتبع سبيل النصر وحقق عناصره واستوفى شروطه الموضوعية كما بينها الله تعالى في كتابه الكريم على المستوى الكوني والتشريعي، حاز نصراً؛ وإن تخلَّى عن ذلك وأهمل فقد مُنِيَ بالهزيمة، حتى لو كانت الجماعة ممن يحملون رسالة السماء، فإنهم لن يخرجوا عن سنة الله التي لا تبديل لها؛ بل يذهب القرآن الكريم إلى أبعد من ذلك إذ يهدد هؤلاء إن لم يقوموا بدروهم التاريخي، وإذا لم يكونوا في مستوى مسؤولية رسالة السماء فإن الله يستبدل بهم قوماً آخرين، إن رسالة السماء لا يمكن أن

تتعطل أو تنهزم، فالهزيمة تحل بالإنسان الذي يلهو ويتجاهل القوانين الالهية التي سنها الله لهذا الكون (في قرآنه الكريم)، إن رسالة السماء فوق مقاييس النصر والهزيمة بالمعيار المادي، ولكن الذي يُهزم وينتصر هو الإنسان بقدر ما يستكمل الشروط الموضوعية للنصر أو يفتقر إليها[23]. قال تعالى في كتابه العزيز:

﴿ إلا تنفروا يعذبْكم عذابا أليما ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيءٍ قدير ﴾.

(التوبة 39)

﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتَدَّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾.

(المائدة 54)

﴿ وتللك القرى أهلكناهم لَـمَّا ظلموا وجعلنا لِمَهْلكِهِم موعداً ﴾.

[الكهف 59]

﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذنا هم بما كانو يكسبون ﴾.

[الأعراف 96]

﴿ وألَّوا استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً ﴾.

[الجن 16]

تدل هذه الآيات، ومثلها الكثير من آيات القرآن الكريم على أن من يتبع سنة الله الكونية والتشريعية، فإن النجاح حليفه في الحياة الدنيا، ويفوز كذلك بالنعيم في الحياة الآخرة، أما من ينحرف فإن ذلك سيقوده إلى الهلاك لا محالة. ومن مقومات الفلاح في الدنيا والفوز في الآخرة الواردة في هذه الآيات:

الجهاد في سبيل الله، عدم الظلم، ألاّ يخاف المرء في الله لومة لائم، الإيمان بالله، والتقوى، والإلتزام بسنن الكون والشريعة كما جاءت في القرآن الكريم.

ومن أبرز المبادئ والعوامل التي تسفر عن النصر في حال إعلان الجهاد، ما يلي:

1 - الإعداد الجيد[(24)].

قال تعالى في كتابه العزيز:

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، تُرهبون به عدوَّ الله وعدوَّكم، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم، الله يعلمهم، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يُوَفَّ إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾.

{الأنفال (60}

أقصى عوامل القوة، وردت كلمة «قوة» دون «الـ» التعريف للدلالة على أن المراد هنا «القوة» إطلاقاً بكل ما تتطلبه من إمكانات بشرية واقتصادية وعقائدية وتربوية

وعسكرية وتقنية ومعرفية وغير ذلك من الأعداد والتدريب. ينبغي أن يصل وضع الأمة إلى درجة من الإستقرار والتماسك والنمو والقوة بحيث تكون رادعة للأعداء، فلا يجرؤون على مجرد التفكير في العدوان عليها، بل تجعلهم يتقربون إلى أمتنا ويتفاعلون معها تفاعلاً سلميا، وهذا ما يريده الإسلام أصلاً، فكما ذكرنا آنفاً، يُعَدُّ الحرب كرهاً للمؤمنين وشذوذاً عن المسار الطبيعي للحياة البشرية، في الوقت نفسه، ينبغي أن تصل الأمة إلى درجة من القوة لا تردع الأعداء المباشرين فحسب، بل من هم ورائهم، كانوا معروفين أو غير منظورين. فلا يجوز للمؤمنين أن يخشو العدو أو يرهبوه، ولا أن يخافوا هزيمة كما هو واقع الحال في أمتنا اليوم إذ يسيطر عليها الخوف من قوة ما يُسمى بإسرائيل ومن هم وراء إسرائيل، الخوف من تدمير اقتصادنا أو الخوف من الهزيمة، فلا تكاد تعلن الحرب حتى نسارع إلى قبول وقف إطلاق النار على الرغم من أن العدو يكون متفوقاً، ضربة سريعة يوجهها إلينا فننهار على الفور ويدب الرعب في قلوبنا

فنسارع إلى وقف القتال ومطالبة الأمم المتحدة وأمريكا التي هي في واقع الأمر الحليف القوي لعدونا المباشر أن توقف دعمها لما يسمى بإسرائيل وأن تنصفنا وتعمل على انسحاب قوات العدو من أرضنا، إن الله سبحانه وتعالى ينبهنا إلى هذا ويحذرنا من الوقوع في هذا المنزلق الذي يخرجنا من دائرة الإيمان عموماً ويبعدنا عن دائرة النصر خصوصاً ويدخلنا في دائرة الكفر وفي دوامة الهزيمة، ومتهاتها، وفي خضم التناقضات والنزاعات المحلية ويغرقنا في مستنقع التخلف والإنهيار الأخلاقي والتربوي والسياسي والإقتصادي والعسكري والثقافي والحضاري، إن الله جل جلاله يحذرنا من أن نحسب حساباً لما يمكن أن يصيبنا من خسائر بشرية أو مادية بسبب الحرب «الجهاد» لأن الله عزَّ وجل سيعوض كل هذه الخسائر، ذلك لأن قوة الأمة تكمن في إنسانها الذي يُبنى ويُرَبَّى على أسس إسلامية «قرآنية» علمية، وفي اقتصادها القائم على القدرة العالية في الانتاج والعدالة في التوزيع إضافة إلى حسن الاستثمار «أي في قوة

اقتصادها»، كما تكمن أيضاً قوة الأمة في جيشها المكوَّن من هذا الإنسان المؤمن والمدرب والمزوَّد بكل وسائل الغلبة من سلاح وتكنولوجيا وغير ذلك.

كل هذا يرفع من شأن الأمة ويزيد من هيبتها فتحتل مكانة مرموقة بين أمم الأرض، الأمر الذي يدفع بالآخرين إلى طلب ودها وصداقتها والتفاعل الحضاري معها، فيبتعد بذلك شبح الحرب وتزول احتمالات الدمار، حتى إذا ماوقعت الحرب فإن النصر المؤزر سوف يساعد على إعادة بناء مايمكن أن يصاب بأذى نتيجة الحرب.

وأرى أن على العرب «ولو دولة واحدة من الدول العربية» خوض حرب ضد العدو الصهيوني شريطة ألاَّ يتوقف القتال مهما كانت النتائج ومهما كانت الحرب عنيفة ومدمرة، ومهما كانت قوة الذين يقفون وراءه، لأننا حتماً سوف نحرز النصر بالصبر والمثابرة والإيمان، وبإنساننا الذي سيُطهره الجهاد ويسمو به، لقد وعد الله أن يوفِّ الأمة المجاهدة ماتنفق في سبيل الله، في سبيل هذا الإعداد من قوة وأنه سوف يعوض كل خسارة مهما

بلغت، ذلك التعويض الذي يتوجه النصر، وهذا يقودنا إلى العنصر الثاني من عناصر النصر، وهو :

2 . الصمود في المعركة، والتقوى والتحمل والثبات في الموقع وعدم التراجع.

قال تعالى في كتابه العزيز:

﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار، ومن يولِّهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾.

[الانفال 15 - 16]

﴿ بلى إن تصبروا وتتقوا، ويأتوكم من فورهم، هذا، يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مُسَوِّمين ﴾.

[آل عمران 125]

﴿ ياأيها الذين آمنوا، اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾.

[آل عمران 200]

﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولَمّا يأتكم مثل الذين خَلَوا من قبلكم مسَّتهم البأساء والضراء وزُلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله، ألا إن نصر الله قريب ﴾.

{البقرة 214}

﴿ ولاتهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين * إن يمسسكم قرحٌ فقد مسَّ القوم قرح مثله، وتلك الأيام نداولها بين الناس، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء، والله لايحب الظالمين * وليمحِّصَ الذين آمنوا ويمحق الكافرين* أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولَمّا يعلمِ اللهُ الذين جاهدوا منكم ويعلمَ الصابرين ﴾.

{آل عمران 139 - 142}

﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾.

{الأنفال 45}

﴿ قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لاتُمتَّعون إلا قليلاً ﴾.

{الأحزاب 16}

﴿ قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تُردُّون إلى عالمِ الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾.

{الجمعة 8}

حقيقة ناصعة تُطل من هذه الآيات الكريمة، وهي أن الخوف من الموت لاينجي من الموت، فَلِمَ يَفرُّ الإنسان من الموت طالما أن الموت سيدركه ولن يتأخر أجلهُ ساعة، بل لحظة واحدة، ومن الأخطاء القاتلة التي لاتغتفر والتي وقع فيها شعبنا العربي، ومازال يقع فيها غير مُعتبرٍ من دروس الحياة والتاريخ، وغير متعظ بدين، هو الفرار وإخلاء البلاد للعدو، والخوف على المعالم الاقتصادية فيسارعون لوقف القتال ولو بشروط العدو، لم يدركوا مانبَّههم إليه القرآن الكريم من أن استراتيجية العدو تقوم

على تفريغ البلاد من أهلها، وأن وجود أهل البلاد فيها وتمسكهم بالأرض لن يتيح المجال للعدو أن يحقق أهدافه، بل وسوف يحبط كل مخططاته، ويفشل كل مايحيك بالتعاون مع من لهم مصلحة في مساعدته، إن صمود السكان في وطنهم والتصاقهم بأرضهم هو الذي يحول دون نجاح العدو أو تحقيق أي نصر، بل ذلك سوف يعكس الآية فينزل بالعدو هزيمة محققة مهما كانت القوى التي تدعمه عظيمة أو الوسائل التي يستخدمها ماكرة، والتقنية التي يتسلح بها متقدمة.

لقد نبّهنا الله جل جلاله إلى هذه الحقيقة في كتابه الكريم في سورة المائدة، قال تعالى:

﴿ قالوا ياموسى إن فيها قوماً جَبَّارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون ﴾.

(المائدة 22)

«قالوا ياموسى إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا، إنا هَهنا قاعدون».

{المائدة 24}

انظر، لن يدخلوها مادام أهلها فيها، حقيقة ناصعة واضحة، ومع ذلك غابت عن المسلمين، لأن المسلمين في واقع الأمر غائبون عن قرآنهم الكريم.

لقد خُدع الفلسطينيون عام 1948 فخرج منهم جزء هرباً من الموت وخوفاً من الفضيحة في الأعراض، واعتقاداً منهم بأن العرب لن يسكتوا، بل سوف يستردون كل ضائع وينزلون بالعدو هزيمة حاسمة في غضون أسابيع أو أشهر على الأكثر فما الذي حصل؟ قتل من الفلسطينيين في معارك جانبية معظمها مع أهلهم العرب أنفسهم مالم يكن يخطر ببال، وعانوا من الجوع والحصارات والتدمير مالم يتعرض له إنسان في التاريخ، والأسابيع القليلة أو الأشهر المعدودة امتددت حتى الآن أكثر من أربعين عاماً ولايبدو في الأفق أي أمل.

أما الذين ظلوا في أرضهم فكانت خسائرهم في الأوراح أقل، وسدوا الطريق على قدوم مزيد من المهاجرين اليهود، وبقوا شوكة في حلق الإحتلال تسبب له اختناقاً مميتاً؛ وأكبر دليل على ذلك مايجري في مخيمات اللاجئين في الضفة الغربية وقطاع غزة وفي جميع مدن وقرى الضفة والقطاع والجليل والمثلث والنقب وكل أنحاء فلسطين المحتلة.

إن نضالهم من الداخل سوف يؤدي حتماً إلى النصر، ألا ترى أن دول العالم قد بدأت ترفع أصوات الاستنكار اليوم رغم سكوتها أربعين عاماً؟ ألا ترى أن الدول العربية التي مازالت مترددة في خوض حرب حاسمة ضد العدو وقد رأت على أرض الواقع بطلان نظرية الخوف، فهذه هي الحجارة وحدها ثبت أنها قادرة على مواجهة كل ما وصلت إليه التكنولوجيا العسكرية؟ ألم ندرك بعد حقيقة القانون الإلهي الذي بينه لنا في قرآنه الكريم وهو أنه عزَّ وجل سوف يعوِّض كل ماتخسره الأمة في جهادها إن هي صمدت، وصبرت

وصابرت، وثبتت، لأن ذلك يؤدي حتماً إلى النصر، والنصر بدوره يؤدي إلى ترسيخ العزة والكرامة وتنشيط الاقتصاد وإعلاء الهمم، فيُعاد بناء ما هُدِم في الحرب، وتنمو البلاد بأسرع مما يتصور المرء أو يخطر ببال الخائفين؟ والتاريخ حافل بالأمثلة على ذلك، أما الخوف والاستسلام والهزيمة فلا تسفر إلاَّ عن دمار حقيقي للإنسان والاقتصاد معاً.

ينبغي ألا يتسرب اليأس إلى قلب مؤمن، وألا يخطر ببال المجاهدين أن النصر مستحيل بسبب مايرون من قوة العدو وكثرة عدده، وصعوبة الظروف، ويجب ألاَّ تُهزم نفوسهم أمام ظلم الحكام أو جبروتهم، أو تكالب العالم عليهم، فيقولون: «متى نصر الله؟» إشارة إلى بُعدِ مناله أو استحالة إحرازه، من يصل إلى هذا الحد تكون الهزيمة مصيره.

كذلك ينبغي ألاَّ تَفُتَّ الآلام والمعاناة من عزيمة المؤمنين فليتذكروا دائماً أن العدو يقاسي مثل مايقاسون، بل أكثر، وما الفوز إلاَّ للصابرين والصامدين. فهل يظن

المؤمنون أنَّ النصر في المعارك أو الفوز في الحياة يأتي هيِّناً؟ الحياة مليئة بالمتاعب والعقبات، هناك قوانين وعلاقات وعلم وتطوير مستمر للحياة وأساليبها، وأسس للبناء الحضاري ... الخ.

فهل يتأتى ذلك للإنسان دون تعب أو معاناة أو عقاب أو صعوبات؟.

قال تعالى في كتابه العزيز:

﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالايرجون، وكان الله عليماً حكيماً ﴾.

{النساء 104}

3 . عدم الاستعانة بالعدو، وعدم الثقة به، قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم، لايألونكم خبالاً، ودُّوا ماعَنِتُّم، قد بدت البغضاء من أفواههم، وماتخفي صدورهم أكبر،

قد بَيَّنا لكم الآيات إن كنتم تعقلون * هاأنتم أولاء تحبونهم ولايحبونكم، وتؤمنون بالكتاب كله، وإذا لقوكم قالوا آمنَّا، وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ، قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور * إن تمسسكم حسنة تسؤهم، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها، وإن تصبروا وتتقوا، لايضركم كيدُهم شيئاً، إن الله بما يعملون محيط ﴾.

{آل عمران 118 - 120}

﴿ ياأيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردُّوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ﴾.

{آل عمران 149}

﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هُزُواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياءَ، واتقوا الله إن كنتم مؤمنين ﴾.

{المائدة 57}

«إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولّوهم، ومن يتولّهم فأولئكَ هم الظالمون».

(الممتحنة 9)

كيف يمكن أن تحقق جماعة نصراً على أعدائها في الوقت الذي تحالف فيه الأعداء أنفسهم أو أولياء الأعداء ومناصريهم، كأن نتخذ من أمريكا حليفاً عندما نقاتل مايُسمى بـ "إسرائيل" فهل من المعقول أن تساعدنا أمريكا على إنزال هزيمة نكراء في الكيان الصهيوني، وهي التي ترعاه وتمده بعناصر القوة والمنَعة؟، من يرى ذلك فهو واهم وضال وخارج عن الإيمان.

ألم تحبط ثقة حكام العرب عام 1936 بحليفتهم وصديقتهم بريطانيا أكبر إضراب في التاريخ قام به الفلسطينيون والذي دام ستة شهور متواصلة تعطلت فيها كل أنشطة الحياة اليومية في فلسطين كلها، الأمر الذي جعل بريطانيا تصدر كتاباً أبيض، وكادت ترضخ لمطالب الفلسطينين، بل أكثر من ذلك، كانت تلك فرصة

للحيلولة دون قيام الكيان الصهيوني وإفشال المشروع الصهيوني الامبريالي برمته في المنطقة لولا تدخل حكام العرب حينذاك ومناشدتهم للشعب الفلسطيني أن يفكوا الاضراب اعتماداً على صداقة بريطانيا وثقة بأنها تفي بما ورد على لسان المسؤولين فيها من وعود، لم يفتأوا أن تنكّروا لها كلها عندما استجاب الفلسطينون للقادة العرب إيماناً منهم بأن الأهل لن يتخلوا عنهم وأن قضيتهم هي قضية كل العرب.

وفي عام 1948 ألم تكن كذلك ثقة حكام العرب بحلفائهم الغربيين سبباً في إحباط جهاد الفلسطينين ومقاومتهم للكيان الصهيوني المغتصب لأرضهم ووطنهم؟

وحرب الـ 67 خسرناها كذلك لأسباب عديدة منها اعتماد أمتنا وحكامها على غير قدرتنا الذاتية، وثقة الحكام بمن يؤمنون بضرورة وجود مايُسمى بـ"إسرائيل" وبالثقة بالغرب عموماً وأمريكا خصوصاً.

وفي عام 1982 أثناء غزو الكيان الصهيوني للبنان، ألم تكن تلك فرصة لوضع أمتنا على طريق التحرير

الشامل وإسقاط الكيان الصهيوني نهائياً؟ لكن الخوف، والشك في عدم إمكانية تحقيق نصر حاسم، وانتظار الخير من عالم خلق مايسمى بإسرائيل بنفسه ورعاها وأمدها بكل عناصر القوة.

والآن، إذ يقوم الشعب العربي الفلسطيني بثورة في فلسطين المحتلة ضد الاحتلال الصهيوني والتي فجرها في الشهر الأخير من عام 1987 ومازالت مستمرة حتى كتابة هذه السطور من عام 1988، هل للعرب والمسلمين أن يتفهموا جيداً قانون الله وسنته التي علمنا إياها جل جلاله في كتابه الكريم، هل لهم أن يتعظوا مما حدث في الماضي فلا يهنوا ولا يتوانوا عن الفلسطينين بالدعم المادي والمعنوي؟ هل لهم أن ينبذوا من قلوبهم الخوف من العدو، والشك في إمكانية الانتصار عليه إذا ماصمموا على ذلك وثبتوا واعتمدوا على أنفسهم وعلى إيمانهم بالله وبأن نصره قريب ولو بدالهم بعيداً؟

4 . عدم الانسياق وراء الإشاعات، قال تعالى في كتابه العزيز:

﴿وإذا جاءكم أمر من الأمن أو الخوف إذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر لَعَلِمَهُ الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتّبعتم الشيطان إلا قليلاً﴾.

(النساء 83)

سلاح الإشاعات ليس جديداً، وحرب الأعصاب أيضاً ليست جديدة، فهذا القرآن ينبه إلى ذلك ويحذر من الوقوع في مزالقها قبل حوالي 1400 ألف وأربعمئة سنة.

إن أخبار النصر والهزيمة، وأخبار الاستعداد من هنا أو هناك، وأخبار الكَرّ والفَرّ، وأخبار المؤن وطرقها ومقدارها ... قد لايرى من لايعلم ضرراً في إذاعتها، بينما يتسقط العدو كل جزئية صغيرة ليؤلف من مجموعها علماً أو خيطاً يقوده إلى العلم بأسرار عدوه.

وقد تُتخذ وسيلة لبث الذعر، أو إشاعة الفوضى، أو التثبط والتخذيل، أو الاعتماد الكاذب على كفاية الجند أو العدة أو الذخيرة أو المؤن في جبهة من الجبهات، وهي

ضعيفة ... ومن ثم فالخطة المثلى هي أن لايسمع الإنسان كل مايقال وحتى إن سمعه لايذيعه، إنما يرده إلى أهل الخبرة الذين يقدرون قيمته أولا من ناحية الصدق والكذب، ويقدرون قيمته من ناحية مايذاع ومالايذاع، ويفيدون منه ويدفعون ضرره.

إن الأخذ بشوارد الأقاويل التي تفضي إلى المتاهة في الظنون تجعل الأمة تطير وراء الأقاويل كل مطار، ويسوقها في مسالك الضلال والمهالك بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير[25].

5 . وحدة الشعب ووحدة المقاتلين، قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً، وكنتم على شفا حُفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾.

{آل عمران 103}

﴿ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون * وأطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، واصبروا إن الله مع الصابرين﴾.

(الأنفال 45 - 46)

﴿إن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حُرُم، ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهنّ أنفسكم، وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة، وأعلموا أن الله مع المتقين﴾.

(التوبة 36)

﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾.

(الصف 4)

مما لاشك فيه أن أساس النصر والنجاح في كل مناحي الحياة، سواء في المعارك العسكرية، أو في مجال

التطوير الاقتصادي أو التنمية الإجتماعية أو في أي ميدان من ميادين الحضارة، إن أساس النصر هو الاعتصام بحبل الله جميعاً «أي الوحدة ضمن أيديولوجيا واحدة»، الالتزام بقرآنه الكريم، ذلك الذي يربط الإنسان بخالقه ويوصله به، الأمر الذي يتطلب بالضرورة عدم الانقسام سواء كان انقساماً سياسياً أو جغرافياً أو فئوياً أو دينياً أو مذهبياً أو اجتماعياً، أو أي نوع من أنواع الانقسام وتحت أية ذريعة من الذرائع، إذ لايجوز للمسلمين أن يختلفوا حول منهج القرآن الكريم أو يتفرقوا بسبب اختلاف في تفسير أو فهم؛ لأن منهج الله واحد ولايجوز تقسيمه وتفريقه.

لاينبغي للمسلمين أن ينقسموا طوائف متنازعة كما هو حالهم اليوم بين سنة وشيعة وغير ذلك من الفرق والمذاهب .

من المؤسف أن المسلمين اليوم قد تفرقوا حتى ضمن المذهب الواحد، أليس هذا منفذ الأعداء إلينا وسبيلهم لبث الشقاق وإثارة الحروب بين أبناء القرآن.

أريد أن أسأل هل في القرآن الكريم ماينص على وجود مثل هذه التسميات المتباينة؟ هل كان محمد ﷺ سنياً أو شيعياً؟ هل كان علي (كرم الله وجهه) شيعياً؟ هل كان أي من الصحابة (رضي الله عنهم جميعاً) سنياً أو شيعياً؟ حنفياً أو مالكياً أو غير ذلك؟ كانوا جميعاً مسلمين.

كان محمد ﷺ ومن تبعه إلى يوم الدين مسلمين متبعين لما أوصى الله نبيه به وأوحاه إليه في قرآنه الكريم، هل كان الإمام الشافعي نفسه شافعياً، أو أحمد بن حنبل حنبلياً، أو مالك مالكياً، أو ابن حنيفة حنفياً؟ لا، بل كانوا مسلمين وحسب، ليس هؤلاء إلا علماء في الفكر الإسلامي حاولوا استنباط أحكام معينة كل حسب اجتهاده من غير إلزام، بدليل قول كل منهم بعد عرض وجهة نظره "والله أعلم" فآراؤهم تصلح أسسا للقضاة يحكمون بموجبها تماماً كما يتبنى القاضي المدني مثلاً اجتهاد عالم في الحقوق في إصدار رأيه أو حكمه في قضية ما، فهل يعني أن الناس يجب أن ينقسموا فئات

وشيعاً مع عالم الحقوق هذا أوذاك ؟ وهل معنى هذا أن فئات جديدة أو طوائف جديدة يجب أن تبرز للساحة كلما ظهر مجتهد أو زعيم سياسي ؟ [26] ثم ما شأننا في الخلافات التي نشأت لأسباب سياسية غالباً في صدر الإسلام لنعكسها على مجتمعنا اليوم بعد أكثر من أربعة قرون؟ فسواء كان الإمام علي (كرم الله وجهه) أحق أن يكون أوّل خليفة لرسول الله ﷺ، أم لم يكن، فتلك قضية انتهت واتفق عليها الصحابة رضي الله عنهم، وقبل بها علي (كرم الله وجهه) نفسه، فلماذا ننقسم اليوم إلى شيعة وسنة بسبب تلك المسألة؟ ولنفرض أن علياً (كرم الله وجهه) كان أحق من سواه في أن يكون أول خليفة لرسول الله ﷺ، فإني أسأل اليوم: هل كل من تسلَّم زمام السلطة في أي بلد في العالم منذ بدء الخليفة حتى الآن، كان هو أحق من غيره بذلك المنصب ؟ اتقوا الله أيها المسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا، وإلا تكالبت عليكم الأمم ومزقتكم واستعبدتكم.

أطيعوا الله ورسوله أيها المسلمون، التزموا بالقرآن الكريم ولا تنازعوا، وإلا انزلقتم في مهاوي الهلاك والذل.

كيف تتغلبون على أعدائكم الذين يقاتلونكم صفاً واحداً ويداً واحدةً، إذا لم تكونوا أنتم صفاً واحداً ويداً واحدة ؟ !

ألم تروا كيف كانت أوروبا وأمريكا ومن يلوذ بهما وراء العدو الصهيوني، يقاتلونكم صفاً واحداً متبعين مختلف الوسائل والأساليب؟ ألم تدركوا بعد أن قوة العدو الصهيوني مستمدة من ضعفكم نتيجة تفرقكم وتمزقكم واقتتالكم فيما بينكم، وسحقكم بعضكم لبعض؟ فهل قتل على يد العدو من أبنائنا بقدر ماقتل منهم على أيدينا تحت ذرائع عديدة بدءاً من ذريعة الأمن والدفاع عن السلطة، مروراً بذريعة الوطنية، واختلاف النظريات الاجتماعية، والصراع الطبقي وانتهاء بذرائع النزاع على الحدود، هذا التفرق وهذه النزاعات هي مصدر قوة العدو، لهذا حث القرآن الكريم على احتواء أية خلافات أو نزاعات بين المسلمين.

إن الاعتصام بحبل الله يقي المسلمين من الانشقاق والتفرق أو الانقسام على أي مستوى من المستويات ويحول دون الاقتتال فيما بينهم مهما كانت الأسباب.

6 . في حال وقوع خلاف أو اقتتال بين المؤمنين ينبغي إيقافه فوراً، وإصلاح ذات البين التزاماً بتعاليم الله جل وعلا. ومن يرفض المصالحة يُدخل نفسه في عداد الخارجين على أمر الله تعالى فيتوجب على المؤمنين ردعه وردَّه عن غَيِّه، لأن اقتتال المسلمين إضعاف لهم، كما أسلفنا، وقوة لعدوهم، قال تعالى في كتابه العزيز:

﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين، إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم تُرحمون ﴾.

{الحجرات 9 - 10}

من الطبيعي جداً أنه إذا ما اختصم اثنان أو اختلفا في أمر، مهما كانت درجة القرابة بينهما «إخوة، أو أب وابنه، أو أم وابنتها، أو مجموعة مؤمنة ومجموعة مؤمنة أخرى، أو اسرتين من قرية واحدة، أو فخذين من عشيرة واحدة ... الخ».

من الطبيعي أن يكون أحدهما مخطئ، وأن يكون الحق إلى جانب دون آخر لذلك لايجوز، حتى لصاحب الحق، أن يرفض التحكيم أو مساعي المصالحة وإنهاء الخصام. وإلا لما انتهى قتال قط إلا بتدمير أحد الطرفين أو كليهما معاً، ولما ظل شقيق على وفاق مع شقيقه، ولشاعت الجريمة وانتشر الخراب، لقد نبهنا سبحانه وتعالى إلى هذه المخاطر، وعدم الاستجابة إلى دعوة الله تعد خروجاً على إرادته ودينه الذي ارتضاه لنا، وجعلنا أنفسنا طعاماً هَيِّناً لأعدائنا، وأمددناه بأنفسنا بعناصر قوته وانتصاره علينا.

7 . الانتباه للمنافقين والمتخاذلين والمثبطين وعدم الثقة بهم، قال جل جلاله في كتابه الكريم:

﴿ فرح المخلّفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لاتنفروا في الحَرِّ، قل نارجهنم أشد حَرّاً لو كانوا يفقهون * فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون * فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً، إنكم رضيتم بالقعود أول مَرَّة فاقعدوا مع الخالفين * ولاتُصلِّ على أحد منهم مات أبداً ولاتقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾.

{التوبة 81 – 84}

﴿ لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سمّاعون لهم والله عليم بالظالمين ﴾.

{التوبة 47}

إن القرآن الكريم يصف المتخاذلين والمتخلفين عن أداء الواجب بالكفر، إنه ينهى حتى عن الصلاة عليهم إذا ماتوا أو القيام على قبورهم تماماً كما هو الحال مع الكافرين، إنهم فاسقون إن الله سبحانه وتعالى ينهي عن قبول اعتذارهم، وعن قبول اشتراكهم في أية معركة، لأنهم سيكونون عنصر هزيمة وفتنة وتثبيط.

إن التخاذل ينسحب على كل مناحي الحياة؛ فالمتخلف عن معركة عسكرية كالمتقاعس في معركة البناء، بناء الإنسان، وبناء الاقتصاد، وبناء المجتمع، إنه معيق لعملية إعداد القوة، بل مسهم في عملية التخريب والهدم، وبذلك فهو لا يمت إلى الإيمان بالله بأية صلة، إنه كافر، ولو تظاهر بالإيمان، وأبدى للناس بعض مظاهره.

8 ـ مباغتة العدو، وشن مايُعرف اليوم بالحرب الوقائية ضد العدو إذا ماتبين أنه يُعِدُّ العدة للقيام بعدوان على المسلمين، قال الله عز وجل في كتابه الكريم:

﴿ وإما تخافَنَّ من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء، إن الله لايحب الخائنين ﴾.

{الأنفال 58}

لقد غزا رسول الله ﷺ بني المصطلق وهم غارون وأنعامهم تُسقى على الماء، ذلك لأنه استشعر منهم عناداً وإصراراً على عدائهم للمسلمين وإعداداً للقيام بعدوان على جند الله المؤمنين[27]، وقال علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) في إحدى خطبه مبيناً قيمة الجهاد في سبيل الله وخطورة التواكل والتخاذل والتقاعس، أو انتظار العدو حتى يبدأ هو بغزو بلاد المسلمين :

«أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة منحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجُنَّته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشَمْلَةَ البلاء، ودُيِّثَ بالصِّغار والقماءة وضرب على قلبه بالأسداد، وأديل الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف، ومنع النِّصف. ألا واني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، سراً وإعلاناً، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم فوالله ماغُزي قوم في عقر دارهم إلاَّ ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم حتى شُنت الغارات عليكم وملكت عليكم الأوطان[28].

9 . الابتعاد عن مظاهر الترف والبرجزة وتجنبها، خصوصاً من قبل القادة، قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

﴿ ولا تُصعّر خدك للناس ولاتمشي في الأرض مرحاً إن الله لايحب كل مختال فخور * واقصد في مشْيكَ واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾.

{لقمان 18 - 19}

﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فَحَقَّ عليها القول فدمرناها تدميراً ﴾.

{الإسراء 16}

على المؤمن ألاّ يتنازل عن كرامته وعزته، ولكن عليه في الوقت نفسه ألاّ يختال ولايتباهى على غيره ولايترفع، ولايسلك سلوكاً يُشتم منه التعالي والتفاخر بماهو عليه من جاه أو بما له من مال أو بنين، أو أي عطاء من

عطاءات الدنيا، لأن ذلك من الفسق، ومن أسباب الدمار والخراب الذي يحيق بالفرد والجماعة على حد سواء.

قال المقوقس يصف المجاهدين المسلمين :

«ليس لأحد منهم في الدنيا رغبة ولانهمة، جلوسهم على التراب، وأميرهم كواحد منهم».

لايطمع المجاهد بأي مكسب مادي، ولا يَمُنُّ على أحد بأنه مقاتل، وأن من حقه أن يحصل على كل شيء ولو على حساب الآخرين. حتى القائد، لايجوز له أن يترفع عن جنده ولا عن شعبه ولايختلف عنهم ولايتحيز في شيء، إضافة إلى أن القائد المسلم ينبغي أن يكون أَيْمَنَ الجند نَقيبَةً، وأكملهم عقلاً، وأطولهم تجربة، وأبصرهم بتدبير الحرب ومواضعها، ومواضع الفرص والحيل والمكايد، وأحسنهم تعبئة لأصحابه وتسييرهم أوان المسير وإنزالهم أوان النزول، وإدخال الأمن عليهم، وإدخال الخوف على عدوهم، وأن يكون حسن السيرة عفيفاً صارماً، حازماً، متيقظاً، شجاعاً، سخياً، وأكثرهم تقوى(28 مكرر).

مامن رجل من المؤمنين دخل الحكم، وكان غنياً قبل ذلك، إلا خرج منه لايملك شيئاً، أما اليوم فإننا نرى المرء يدخل الحكم فقيراً فيخرج منه ثريّاً، وأيما ثراء، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر، أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وعمر بن عبد العزيز وخالد بن الوليد، أما الذين سلكوا غير ذلك فكان في سلوكهم انحراف عن سواء السبيل، وبذلك بذروا بذرة السقوط بعد ذلك العلوّ والسمو .

10 . عدم المساهمة في الحروب القائمة بين أمم غير إسلامية لأن مثل هذه الحروب لاتقوم لتحرير الإنسان، بل تنشب لتحقيق مصالح ذاتية، وإقليمية ودنيوية[29] كالمجالات الحيوية، وفتح أسواق تجارية، أو استغلال ثروات اقتصادية واستخدام طاقات بشرية في بلدان أخرى، وغير ذلك من أهداف وغايات . قال مالك:

«دعهم ينتقم الله من ظالم بظالم ثم ينتقم الله من كليهما».

فانحياز الدولة المسلمة إلى أي من الطرفين ربما يكون انحيازاً لظالم.

الفصل السابع

دار الإسلام
دار الحرب
المعاهدات

1. دار الإسلام :

يقول الشيخ محمد أبو زهرة إن "دار الإسلام هي الدولة التي تحكم سلطان المسلمين، وتكون المنعة والقوة فيها للمسلمين ... وهذه الدار يجب على المسلمين الذود عنها، والجهاد دونها فرض كفاية إذا لم يدخل العدو الديار، فإن دخل، كان الجهاد فرض عين عليهم، كل بمقدار طاقته؛ وكل دولة تكون الأكثرية فيها مسلمين تعتبر دار إسلام، ولو غلب عليها غير مسلم.

هذه هي دار الإسلام ولا تحتاج إلى فضل من البيان[30].

ويمكننا أن نضيف القول بأن دار الإسلام هي البلد أو القطر أو المصر التي يطبق فيها النظام الإسلامي الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والعقائدي. وبالتالي فإن البلد التي يشكل المسلمون فيها أكثرية سكانية ولكن نظامها الحياتي لايمت إلى الإسلام بصلة أو لايسود فيها النظام الإسلامي في أي ميدان من ميادين الحياة،لاتعد بلداً مسلماً أو دار إسلام.

2 - دار الحرب :

هناك رأيان في تعريف دار الحرب :

أ - "إن دار الحرب هي الدار التي لايكون فيها السلطان والمنعة للحاكم المسلم ولايكون بينهم وبين المسلمين عهد يحد العلاقة بين تلك الدار والمسلمين، ويضمن عدم الاعتداء على المسلمين.

ب - أما الرأي الثاني، فيقرر وجوب توفر شروط ثلاثة لكي تكون الدار دار حرب؛ هي:

1 - ألاَّ تكون المنعة والسلطان للحاكم بحيث لايستطيع تنفيذ الأحكام.

2 - أن يكون الإقليم متاخماً للديار الإسلامية بحيث يتوقع منه الاعتداء على المسلمين باستمرار.

3 - ألاَّ يبقى المسلمون وغير المسلمين من الرعية الإسلامية متمتعين بالأمان الإسلامي الأول الذي مكنهم من الإقامة فيها بأمان وحرية.

ويمكننا أن نضيف هنا القول بأن دار الحرب هي الدار التي يُضطهد فيها المسلمون، ويُظلَمون، ويطردون من أرضهم وبيوتهم ويُمنعون من التمتع بحرية الاعتقاد وممارسة شعائرهم الدينية، أو التي يصدر عنها اعتداء على المسلمين «دار الإسلام»، أو التي تحتل جزءاً من دار الإسلام، أو جمعت بين ذلك كله.

3 - دار الحياد :

واستناداً إلى ذلك فإن البلد التي سكانها مسلمون ولكن نظامها الحياتي ليس إسلامياً ومع ذلك يمارس المسلمون فيها عقيدتهم الإسلامية وشعائرهم وعاداتهم وتقاليدهم وحق الدعوة إلى الإسلام بحرية تامة، لاتصنَّف دار حرب، ولادار إسلام. ويمكن تسميتها «دار حياد».

4 - دار العهد :

هناك نوع رابع يعرف بـ «دار العهد»، وهي الدار التي يوجد بينها وبين دار الإسلام معاهدة يتعهد بموجبها المسلمون الدفاع عنها كما حدث بين أبي عبيدة

عامر بن الجراح وأهل حمص، وبين صلاح الدين الأيوبي وأهل الشام؛ أو يتعهد المسلمون بموجبها تأمين أهل تلك الدار على أنفسهم وأموالهم كما حدث بين ابن أبي السَّرْحْ «في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه» وأهل النوبة في مصر، وكما فعل معاوية بن أبي سفيان مع أهل أرمينية، وكما فعل عمر بن الخطاب مع أهل القدس«إيليا».

وفي حال عجز المسلمين عن تنفيذ عهدهم فإن عليهم أن يردوا كل ماأخذوه من مال لقاء ذلك التعهد إلى أصحابه، كما فعل أبو عبيدة مع أهل حمص. علماً بأن العهد يمكن أن يكون دون أي مقابل ولايُحمل الذين منحوا هذا العهد أية نفقات، كما فعل ابن السرح، والي مصر في عهد عثمان رضي الله عنه مع أهل النوبة.

5 - المعاهدات:

كانت المعاهدات ومازالت في عرف الدول وفي واقع الأمر وسيلة يتخذها القوي لفرض سلطانه على الضعيف أو المغلوب. حتى إذا قوي الضعيف أو استرد المغلوب

أنفاسه وجمع قواه نبذها وقاتل لإخراج نفسه من هيمنة القوي، حتى معاهدات الصلح والسلم فإنها تتميز بالسلم الظالم الذي يفرض على الضعيف أحكام القوي.

وهذا ماحدث بين ألمانيا والحلفاء، واليابان والحلفاء إثر هزيمة دول المحور أمام دول الحلفاء في الحرب العالمية الثانية. وكما يحدث بين كل دولة قوية وأخرى أضعف منها أو بين دولة غالبة وأخرى مغلوبة.

وما معاهدة الصلح والسلام المعقودة بين مايسمى بـ «إسرائيل» وجمهورية مصر العربية إلا مثال على هذه الحقيقة، وكذلك الحال كان بالنسبة للاتفاقية التي عقدت بين العراق وإيران في عهد الشاه عام 1975 حول الحدود ومياه شط العرب حيث اضطر العراق للتنازل عن بعض حقوقه لقاء توقف الشاه عن دعم الثوار الأكراد في شمال العراق.

ولن يختلف الحال الآن أو في المستقبل إذا ماتم التوصل إلى صلح بين الدول العربية و ما يسمى بـ «إسرائيل» سواء بمظلة دولية شكلية أو بمؤتمر دولي فعال أو بمفاوضات مباشرة أو غير مباشرة.

أما القرآن الكريم فنظرته مختلفة، فهو يرى أن الأصل في العلاقات الدولية، بل في كل العلاقات بين الناس كافة هو السلم والتفاعل الحضاري الودي، وبالتالي تكون المعاهدات وتُبرم لإنهاء حالة الحرب والعودة إلى حال السلم أصلاً، ويمكن تلخيص أهداف المعاهدات في نظر الإسلام في الأمور التالية:

أ - إنهاء حالة الحرب، كما أسلفنا، وتوطيد السلم وتدعيم الأمن وتعزيزه.

ب - صيانة حقوق الإنسان وحريته.

جـ - حماية أهداف الدعوة الإسلامية.

د - تعزيز التعاون بين الشعوب لتحقيق الفائدة والمنفعة لهم جميعاً.

هـ - توفير المناخ الملائم لإظهار مزايا الإسلام وإتاحة الفرصة أمام الآخرين للاطلاع عليه والتعرف على حقيقته وجوهره.

و - تبادل الأسرى وعلاج المرضى وإجلاء القتلى «هذا في حال الهدنة المؤقتة».

وينبغى أن تتوفر شروط معينة في كل معاهدة يعقدها المسلمون مع غيرهم، نلخصها فيما يلي:

أ - أن تكون موافقة لأحكام الإسلام ومبادئه.

ب - أن تحقق مصلحة المسلمين.

جـ - أن تدرأ عنهم خطراً أو مَفْسَدَةً.

د - رضا الطرفين بالمعاهدة.

هـ - وضوح نصوصها وأهدافها.

أما الحالات التي يتحلل فيها المسلمون من المعاهدة التي عقدوها مع دولة ما فهي:

أ - أن ينقض الطرف الآخر المعاهدة.

ب - أن يقوم ذلك الطرف بإيواء الجواسيس ضد المسلمين أو القيام بأعمال إرهابية ضد المسلمين.

جـ - الطعن في الإسلام والعمل على تشويه صورته ومفهوماته وعقائده.

د - الحيلولة دون تمكن الناس من الاطلاع على الإسلام والتعرف عليه.

هـ - استشعار خيانة من الطرف الآخر أو عدوان .

و - قيام الطرف الآخر فعلاً بعدوان على المسلمين.

والمعاهدات أنواع نوجزها فيما يلي:

أ - هدنة مؤقتة.

ب - صلح دائم.

جـ - معاهدات الأمان، ومنها:

1 - الأمان العام : وتعقد مع دولة يُعطى أهلها الأمان مقابل تعهدهم بعدم قتال المسلمين أو الاعتداء عليهم أو إعانة أعدائهم عليهم، أو الحيلولة دون تمكين النَّاس من الاطلاع على الإسلام والتعرف عليه.

2 - الأمان الخاص : ويُعطى لأفراد أو عدد من الأفراد، كالسفراء والتجار والرسل وغير ذلك ممن لهم عمل مشروع في دار الإسلام.

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة: إن المعاهدات ثلاثة أنواع هي:

أ - مؤقتة : ويجب الوفاء بها إلى وقتها.

ب - مطلقة الزمان: لايحدها زمان، ويتم التقيد بها مادام الطرفان ملتزمين بنصوصها وروحها.

جـ - دائمة : وهي لاتختلف عن المطلقة إلا في نظر بعض الفقهاء الذين يرون عدم إطلاق صفة الديمومة على أية معاهدة انطلاقاً من واقع الحال وواقع الأمم والشعوب إذ لم تدم معاهدة بين متعاهدين إلى الأبد. فلابد لأحد الطرفين من نقض نصوصها جزئياً أو كلياً أو الخروج على روحها وفق الظروف التي يمر بها هذا الطرف أو ذاك.

إلا أن المعاهدات والعهود التي تُعطى لغير المسلمين من أهل البلاد التي تخضع لنظام إسلامي تتصف بالديمومة لامحالة، لأنه مادام المسلمون هم أصحاب السلطان والمنَعَة، وطالما أن نظام الإسلام مطبق في ذلك البلد، فإن المسلمين ملزمون بالتقيد بنصوص ماتعهدوا به

وبروحه. أما إذا انهار النظام وفقد الإسلام سلطانه ومَنَعَتَهُ، فإنهم عندئذٍ يبلغون الطرف الآخر بعدم قدرتهم على الوفاء بما تعهدوا به ويردون له ماأُخذ منهم لقاء ذلك التعهد[31].

إن القرآن الكريم يحث على احترام العهود وضرورة الالتزام بها مالم ينقض العدو تلك العهود المعقودة بينه وبين المسلمين. لذلك كان للمسلمين أخلاقية تميزوا بها في عهودهم ومعاهداتهم. منها أنهم لم يكونوا بادئين قط في نقض معاهدة عقدوها مع سواهم، وكانوا حريصين جداً ألا تكون المعاهدات لخداع الطرف الآخر، ولا لفرض الهيمنة، ولا من أجل تقرير سلم ظالم غير قائم على الحق والعدل، ولم يستغل المسلمون يوماً ضعف العدو، كما لم يلجأوا إلى عبارات غامضة قابلة لأكثر من تفسير كما حصل في القرار (242) الذي أصدره مجلس الأمن لوقف القتال بين العرب ومايسمى بـ «إسرائيل» عام 1967[32].

قال تعالى في كتابه العزيز :

﴿ كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين ﴾.

{التوبة 7}

﴿ إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين ﴾.

{التوبة 4}

﴿ الذين يوفون بعهد الله ولاينقضون الميثاق ﴾.

{الرعد 20}

وقد عقد النبي ﷺ معاهدة مع يهود المدينة عندما هاجر إليها بهدف إقرار السِّلم وتنظيم الجوار على

أساس التعاون على دفع العدو الخارجي، وعدم معاونته على أحد الفريقين وعلى أساس التعاون على البر ودفع العدوان[33]. وبعد ذلك كتب الرسول ﷺ كتاباً يوثق فيه هذه المعاهدة، هذا نصه[34]:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد رسول الله لِحُنينا، ولأهل خيبر والمقنا ولذراريهم، مادامت السماوات على الأرض. سلام أنتم، إني أحمد إليكم الله الذي لاإله إلا هو. أما بعد :

فإنه أنزل على الوحي أنكم راجعون إلى قُراكم وسُكنى دياركم، فارجعوا آمنين بأمان الله وأمان رسوله، ولكم ذمة الله وذمة رسوله على أنفسكم، ودينكم، وأموالكم، ورقيقكم، وكل ماملكت أيمانكم، وليس عليكم أداء جزية ولاتُجزَّ لكم ناصية، ولايطأ أرضكم جيشٌ، ولاتحشدون ولاتحشرون ولاتُعشرون ولاتظلمون، ولايجعل أحد عليكم رسماً، ولاتمنعون من لباس المشقَّقات والملونات، ولامن ركوب الخيل ولباس أصناف السلاح.

ومن قاتلكم فقاتلوه، ومن قتل في حربكم فلا يُقاد به أحد منكم ولاله دية. ومن قَتَل منكم أحدَ المسلمين تعمُّداً فحكمه حكم المسلمين. ولايُفترى عليكم بالفحشاء، ولاتُنَزَّلونَ منزلة أهل ذمة، وإن استعنتم تُعانون وإن استرفدتم ترفدون. ولاتُطالبون ببيضاء ولا صفراء ولاسمراء ولاكُراع ولاحلقة ولاشدِّ الكشتيز ولالباس المشهَّرات، ولايقطع لكم شِسعُ نعل، ولاتمنعون دخول المساجد، ولاتحجبون عن ولاة المسلمين. ولايولى عليكم والٍ إلا منكم أو من أهل بيت رسول الله. ويوسَّع لجنائزكم إلا «إلى ؟» أن تصير إلى موضع الحق اليقين، وتُكرموا لكرامتكم ولكرامة صفية ابنة عمكم. وعلى أهل بيت رسول الله وعلى المسلمين أن تكرم كريمكم ويعفوا عن مسيئكم. ومن سافر منكم وهو «فهو؟» في أمان الله وأمان رسوله، ولاإكراه في الدين. ومن منكم اتبع ملة رسول الله ووصيته كان له رُبع ماأمر به رسول الله لأهل بيته، تعطَون عند عطاء قريش وهو خمسون ديناراً، ذلك بفضل مني عليكم. وعلى أهل بيت رسول الله وعلى

المسلمين الوفاء بجمع مافي هذا الكتاب. فمن أطلع لحُنينا وأهل خيبر والمقنا بخيرٍ فهو خيرٌله ومن أطلع لهم بشَرّ فَهوَ شرٌ له. ومن قرأ كتابي هذا، أو أقريء عليه وغيَّر أوخالف شيئاً مما فيه، فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين من «الملائكة» والناس أجمعين، وهو بريء من ذمتي وشفاعتي يوم القيامة وأنا خصمه، ومن خصمني فقد خصم الله ومن خصم الله فهو في النار والـ [......] ـة وبئس المصير. شهد الله الذي لاإله إلا هو وكفى به شهيداً وملائكته حملة عرشه ومن حضر من المسلمين.

وكتب علي بن أبو [!] طالب بخطه، ورسول الله يُملي عليه حرفاً حرفاً، يوم الجمعة لثالث [!] ليال خلت من رمضان سنة خمس مضت من الهجرة. شهد [عمَّار] بن ياسر وسلمان الفرارسي [!] مولى رسول الله وأبو ذر الغفاري.

«ملاحظة : ورد في الأصل: لكرماتكم بدل لكرامتكم – كما وردت بن أبو طالب في الأصل وينبغي

أن تكون بن أبي طالب - الفرارسي في الأصل المقصود بها الفارسي».

نلاحظ هنا أن كلمة ذمة تعني العهد والتعهد بأمن من عُقدت معهم المعاهدة وسلامتهم، والتعهد بضمان حقوقهم وتمتعهم بأموالهم وبحريتهم الدينية. وبالتالي فإن عبارة أهل الذمة أو "الذميين" لاتعني سوى "أهل العهد" أو "المتعاهدين معهم" وليس كما يصورها المستشرقون والذين يريدون بأمتنا وإسلامنا سوءاً وتشويهاً.

كما نلاحظ أيضاً أن الإسلام يتبنى، بل ويدافع عن حق الاعتقاد ويضمن الحياة الكريمة لكل الناس وليس للمسلمين فقط.

وفي حال السلم تقوم علاقة الدولة الإسلامية مع دول العالم على الأسس التالية:

أ - إقامة العدل.

ب - تحقيق التعارف الإنساني والتعاون بين الناس على البر «أي على تنشيط عملية التفاعل الحضاري الإنساني الودي».

جـ - عدم اعتداء المسلمين على غيرهم.

د - حماية الحريات لغير المسلمين بما فيها الحرية الدينية.

هـ - احترام العهود والمواثيق المعقودة بينهم وبين أطراف أخرى، إلا إذا خرقها الطرف الآخر، أو اشتم منهم خيانة.

و - عدم السماح باضطهاد المسلمين وسلبهم حرياتهم[35].

الفصل الثامن

اليهود وأخلاقيتهم عموماً

وسلوكهم في الحرب خصوصاً

من المفيد هنا أن نلقي نظرة على الشخصية الصهيونية التي تقوم على الفكر التوراتي واللغة العبرية والتي تمتد جذورها إلى الديانة اليهودية الموجودة بين دفتي كتاب "العهد القديم" «التوراة» الحالي والذي لانعرف سواه، علماً بأن التوراة الحالية باعتقادنا ليست هي التوراة التي نزلت على سيدنا موسى «عليه السلام» لأن الله لايمكن أن يكون بالصفات ولا بالطبيعة التي يوصف بها في هذا الكتاب.

والغاية من وضع هذا الفصل بيان الفارق الكبير بين العقل العربي الإسلامي والعقل اليهودي.

ومن أبرز معالم الشخصية اليهودية المتجسدة الآن في الكيان الصهيوني المحتل لفلسطين :

1. الشوفينية العنصرية والدينية «تحت مقولة شعب الله المختار الواردة في العهد القديم»[36].

2. الروح العدوانية، من الأمثلة تاريخيا على ذلك:

أ. سمم اليهود آبار أوربا عام 1347 / 1348 م فراح ضحية ذلك حوالي ربع سكان أوربا، وعرفت هذه المأساة باسم «الموت الأسود»[37].

ب ـ في عهد النبي يوسف، قدم لهم حاكم مصر أرضاً وهي «جاسان» من أجود الأراضي، ولكنهم عَدُّوا تكليفهم بالعمل الزراعي والأعمال الصناعية كأهل مصر إهانة وتعذيباً وعبودية وصاروا يُنَكِّلون بالمصريين، الأمر الذي اضطر حاكم مصر «فرعون» أن يدافع عن شعبه، فلما هُزم اليهود، خرجوا من مصر وعَدُّوا ذلك أمراً مقدساً وذلك بعد استمتاعهم بخيرات مصر لمدة خمسة قـرون[38].

3 ـ تزوير الحقائق، حتى شمل ذلك الدين، فحرفوه ليلائم أطماعهم ونفسيتهم، فنشأت أجيالهم على دين ليس إنسانياً[39]، ومن أبرز هذه التحريفات :

أ ـ جعل الدين عنصريا شوفينياً يخدم مصالح فئة معينة فقط.

ب ـ جعل فكرة الإله محصورة ضيقة، فكان إلهاً لليهود فقط يحقد على غير اليهود، ويحرص على احتقار الآخرين وذبحهم :

«كَلِّم بني إسرائيل وقل لهم إنكم عابرونَ الأردن إلى أرض كنعان، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم، وتمحون جميع تصاويرهم وتبيدون كل أصنامهم المسبولة وتخربون جميع مرتفعاتهم».

[سفر العدد : الاصحاح 33 (51، 52)]

«وقال لهم موسى هل أبقيتم كل أنثى حية؟ فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكلّ امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها».

[سفر العدد : الاصحاح 31 (15- 18)]

«وكلّم الرب موسى قائلاً : انتقم نقمة لبني إسرائيل من المديانيين ثم تُضم إلى قومك ... فَتَجندوا على مديان كما أمر الرب واقتلوا كل ذكر».

[سفر العدد : الاصحاح 31 (1 - 7)]

«وإذا دفعها الرب إلهَكَ إلى يديك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف».

{سفر التثنية : الاصحاح 20 (13)}

«وحَرّموا كل مافي المدينة من رجل وإمرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف».

{سفر يشوع : الاصحاح 6 (21)}

«فتضربون كل مدينة محصنة وكل مدينة مختارة وتقطعون كل شجرة طيبة وتطمُّون جميع عيون الماء وتفسدون كل حقلة جيدة بالحجارة».

{سفر الملوك : الاصحاح 3 (19)}

«لأن الأمة والمملكة التي لاتخدمك تبيد وخراباً تُخرب الأمم».

{سفر أشعياء : الاصحاح 60 (12)}

جـ ٠ طرحوا فكرة عودة المسيح المخلص والعهد الألفي السعيد، لخداع المسيحيين وإيهامهم أن قيام دولة اليهود في فلسطين ليس إلاَّ مقدمة لعودة المسيح[40]

قال أرنولد توينبي : «اليهودية أقبح أمثلة عبادة الذات الفانية صيتاً»[41].

وقال ماركس : «يجب ألا نبحث عن سر اليهودي في دينه، بل فلنبحث عن سر الدين في اليهودي الواقعي»[42].

إن هذا يؤكد أن مايسمى بالتوراة الآن ليس التوراة الحقيقية بل هي من صنع أحبار وكتاب صاغوها بما يتفق مع أهدافهم وأمانيهم ومصالحهم، وتعبيراً عن الشخصية اليهودية التي تكونت تاريخياً، والتي من أبرز سماتها:

1 ٠ التناقض بين الشعور بالدونية والاضطهاد.

2 ٠ الشعور بالتعالي، ورسوخ العقلية الشوفينية العنصرية.

3 . احتقار غير اليهود، والنظرة إليهم نظرة السيد إلى الخادم الذي ينبغي أن يكون مطيعاً لايخالف أمراً ولا يحيد عن رغبة من رغبات سيده.

4 . تعطل جدلية الوجود، بحيث لم يعد اليهودي مرآة لذاته تتعرف فيها الذات على نفسها، ويتخلق من خلال هذه المعرفة وعي الذات بوجودها حيث تحتل الرغبة في اعتراف الآخرين بالذات حجر الزاوية في هذا الوعي الذاتي(43)، وقد أدى عدم اعترافهم بِنِدِّيَّةِ غيرهم، أي بحق غيرهم في العيش كبشر أحرار، إلى تآمرهم على غير اليهود مهما كان لهؤلاء فضل عليهم، وهذا كان دائماً ومازال يعرضهم إلى الانتقام على يد مختلف الشعوب والأيديولوجيات، وعلى مَرِّ الزمن.

5 . التعصب والغموض : قال البارون روباخ في مقالته "روح اليهودية":

«تتخلل الديانة اليهودية البخل وروح المصلحة الذاتية».

وقال ديدرو في مقالته في دائرة المعارف:

«اليهود شعب غامض ومتعصب».

وقال ڤولتير :

«إنك لتجد في اليهود مجرد شعب جاهل ومتوحش زاول لمدة طويلة أخسَّ أنواع البخل وأبغض أنواع الخرافات، ويحمل كراهية لاتعادلها كراهية للشعوب التي تسامحت معه، وكانت سبباً في ثرائه كافة»(44).

لايعني هذا أن اليهود جهلة غير متعلمين، بل تنضوي صفة الجهل هنا تحت معنى الجاهلية، أي التعالي على الشعوب الأخرى واحتقارها والإيمان بضرورة عدم التفاعل معها حضارياً بل بضرورة استعبادها واستخدامها لخدمة مصلحة الشعب المتميز.

6 . الشك المتأصل في الذات اليهودية، وعدم القدرة على تحديد مفهوم اليهودي «وهذا مايثير اليوم جدلاً عقيماً في أوساط مايسمى بإسرائيل، ذلك الكيان الصهيوني المحتل لفلسطين».

7 . التحسس الشديد من نقد اليهود: قال ماكسيميليان هاردين في مجلته "المستقبل" في 18 حزيران، الصيف عام 1904 ببريني :

«إن كل أمة معرضة للنقد، ولكن إذا ماتجرأ شخص على أن يمس اليهود وينتقدهم، حينئذ تتشابك أيدي اليهود حول هذا العيب توضحه وتلتمس المعاذير».

وقال أوتوفون بسمارك :

«يمكن للمرء أن يتحدث بصراحة عن شعبه دون خجل، ولكن من يجرؤ على التحدث بإنصاف وعدل ودقة عن ضعف الشخصية اليهودية، يُجمع العالم على التمثيل به كأي بربري أو ملحد»[45].

ومما يؤكد هذه الحقائق مانراه اليوم، كيف تقوم الدنيا ولاتقعد، وتعقد المؤتمرات، إذا ما قُتل يهودي «حتى ولو كان مذنباً»، أو إذا منع يهودي من مغادرة بلاده التي ولد فيها هو وأجداده وأجداد أجداده ويحمل جنسيتها ويتمتع بخيراتها، للذهاب إلى مايسمى

بإسرائيل والتنكر لوطنه الذي أعطاه كل شيء، إذا ماحصل شيء من هذا القبيل تعالت صيحات الاستصراخ والعويل على حقوق الإنسان، وتدخلت أمريكا ضد الاتحاد السوفيتي، وعرضت أمن العالم للخطر، وتدخل الغرب كله نادباً حقوق الإنسان، أما أن يتشرد شعب بأسره، كالشعب الفلسطيني، وأن يسلب حقوقه، ويذبح في مخيماته، ويطارد أينما حل ورحل، فإن حقوق الإنسان تظل بألف خير، لم تصب بسوء ولم تنتهك، فلا يحرك أحد ساكناً ولا يفوه بكلمة، حتى إذا ماصحا ضمير العالم لحظة وأراد اتخاذ قرار «ولو كان مجرد حبر على ورق» لصالح هذا الشعب المحروم حتى من حق عودته إلى وطنه المغتصب، استخدمت أمريكا حق الفيتو ضد ذلك القرار وأبطلته، وكأن حقوق الإنسان هي حقوق اليهود فحسب، ولا يجوز لأحد أن يدينهم ولو ارتكبوا أبشع الجرائم.

8 ـ الإيمان بضرورة التخلص من غير اليهود جميعاً لأنهم لايمكن أن يكونوا موضع ثقة بأية حال من

الأحوال، قال الرابي هيس في مقالة نشرها في مجلة جامعة برايلان الدينية بعنوان "شريعة الجهاد في التوراة" مايلي:

«يجب قتل الكبار والصغار من عماليق (وهم أعداء اليهود بما فيهم العرب) بلا رحمة لأن الرب هو الذي يعلن الجهاد والمضاد ضد هؤلاء، وهو مُجَنَّدٌ في هذه الحرب لأن له مصلحة شخصية في الموضوع.

كما يجب طرد من بقي منهم بعد الإبادة من وطنه»(46)

فهل يعقل أن يكون الله بهذه الصفات، وأن يكون له مصلحة في ذبح الناس وإبادتهم؟ شتان بين مفهوم الإسلام والتكوين العقلي للمسلمين، ومفهوم اليهودية والتكوين العقلي لليهود «نتيجة تزويرهم» فيما يتعلق بالعلاقة بين البشر.

الفصل التاسع

الخلاصة

إن من يقرأ القرآن الكريم ويتفهمه يدرك تماماً أن الله سبحانه وتعالى يحث الإنسان، أفراداً وجماعات وشعوباً، على التعايش الودي والتعاون السلمي في كل مجالات الحياة. وبالتالي فإن الإسلام عموماً يَعُدُّ السلام والتفاعل السلمي بين البشر المظهر السويّ للحياة الإنسانية، لأن الإنسان لا يفلح في بناء الحضارة الإنسانية ولا يستطيع تحقيق تقدم إلا في ظل السلام. وفي الوقت نفسه يُعَدُّ الحرب والإقتتال في نظر الإسلام مظهراً مؤقتاً من مظاهر الحياة، وحالة عارضة تنشأ عن إنحراف البشر وإستعباد الجانب المادي لهم، فالحرب مدمرة، أما السلام فَمُعَمِّر. الحرب عقبة كأداء في سبيل الإنتاج والرخاء والتقدم، أما السلام فيعين على الإبداع وتحقيق سعادة الإنسان. الحرب تعيق الإنسان عن القيام بمهمته على الأرض بوصفه مستخلف فيها، أما السلام فيدفع الإنسان على تحقيق هذه المهمة وإنجازها.

وإنطلاقاً من هذا المفهوم أشار القرآن إلى الحرب بكلمة القتال، والقتال فرع صغير من الجهاد. وتعني هذه

الكلمة من الناحية اللغوية بذل قصارى الجهد لتحقيق هدف معين أو إنجاز واجب أو عمل، الأمر الذي يجعل الجهاد ركناً من أركان الدين ينبغي القيام به روحيا وماديا. حتى إذا ما أخذنا اللفظة بمعناها الواسع فإن الجهاد لا يتطلب بالضرورة إستخدام العنف أو السلاح، ولو وجدت دار حرب مجاورة لدار الإسلام، لأن الإسلام يستطيع تحقيق أهدافه بالسلم عن طريق إقامة العدل وكون دولته قدوة للبشر كافة، ولهذا جعل الإسلام الحربَ أمراً مكروهاً، ولم يُجزه في دار الإسلام وخارجها إلاَّ في سبيل الله[47].

لقد أكد القضاة الحنفيون الأوائل على التسامح تجاه غير المسلمين. وخصوصاً تجاه الكتابيين. وأوصوا الإمام ونصحوه ألا يعلن الحرب إلاَّ إذا وقع نزاع بين دار الإسلام وأهل دار الحرب. كان هذا أيضاً موقف الأوزاعي ومالك وغيرهما من العلماء المسلمين الأوائل.

ويرى ابن تيمية {المتوفي عام 728هـ/1327م} أن الجهاد ليس سوى حرب دفاعية يعلنها المسلمون

ويخوضونها عندما يهددهم عدوٌّ. وأكد رأيه هذا قائلاً: «إذا ما كان للكافر أن يُقتل ما لم يدخل الإسلام، فإن ذلك يُعَدُّ أفظع إكراه في الدين، الأمر الذي يخالف التوجه القرآني الوارد في الآية الكريمة:

﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشُد من الغي﴾.

{البقرة 256}

أما إذا اعتدى الكفار على المسلمين فالأمر عندئذ يختلف[48].

الجهاد إذن، أوسع مدى وأكثر شمولاً وأبعد أهدافاً من الحرب، فهو يعني جهداً إنسانياً سواء في الحرب أم في السلم[49].

قال تعالى في كتابه العزيز:

﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده، هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج، ملة أبيكم إبراهيم، هو سَمَّاكم المسلمين من قبل وفي هذا،

ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس، فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله، هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴾.

{الحج 78}

﴿ فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً ﴾.

{الفرقان 52}

﴿ والذين جاهدوا فينا لَنَهدِيَنَّهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾.

{العنكبوت 69}

الجهاد جهد يُبذل لمدافعة الشر واستجلاب الخير، وقد يكون نفسيا وماديا، وهو حركة ودعوة إنسانية أخلاقية حضارية تقدمية، انسجاماً مع طبيعة النظام الإسلامي الثورية الهادفة دائماً إلى تغيير العلاقات الإجتماعية في العالم كله وتوجيهها نحو خدمة الإنسان وتمكينه من أداء رسالة الإعمار والبناء في الأرض، أي

بنقل المجتمع الإنساني باستمرار من طور إلى طور أرقى. فقد حول الإسلام المجتمع الذي أثَّر فيه من مرحلة العبودية إلى مرحلة المهن الحرَّة والتجارة العالمية وفق قوانين الإسلام التي تشكل وحدة وتنسيقاً متكاملين تختلف تماماً عن تلك التي كانت شائعة في مرحلة العبودية حيث كان التجار لا يفرقون بين ما هو تجارة حقاً وما هو غش وابتزاز وسرقة. إذ أَلِفَ التجار سرقة الضعفاء وابتزازهم واستغلال البسطاء وسلبهم(50).

قال تعالى في كتابه الكريم منبهاً إلى ضرورة عدم التلاعب في التعامل التجاري وحذر من ارتكاب تلك الخطيئة ووصف الفاعلين بأنهم مفسدين، يستحقون العذاب في الدنيا وفي الآخرة.

﴿ ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾.

{هود 85}

﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين * وزنوا بالقسطاس المستقيم * ولا تَبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾.

{الشعراء 181-183}

﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المّس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحلّ الله البيع وحَرّم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فَلَهُ ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفّار أثيم ﴾.

{البقرة 274 - 276}

﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فَحَقّ عليها القول فدمرناها تدميراً﴾

{الإسراء 16}

كما أن محمداً ﷺ هاجم هذا النوع من التجارة والتجار المستغلين والمبتزين، وحث على التقوى وخشية الله. قال رسول الله ﷺ :

«ت – رفاعة بن رافع رضي الله عنه» قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى المصلَّى، فرأى الناس يتبايعون فقال: «يا معشر التجار، فاستجابو ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه، فقال: إن التجار يُبعثون يوم القيامة فجَّاراً إلا من اتقى الله وَبَرَّ وصدق»(51).

{أخرجه الترمذي برقم 1210 في البيوع، باب ما جاء في التجار، وابن ماجه برقم 2146 في التجارات، وابن حيان برقم 1095 في موارد، وأحمد في المسند برقم 428/3، 444. رواه رفاعة بن نافع رضي الله عنه}.

واضح من هذا الحديث الشريف أن الصفة الغالبة على التجار هي التهالك على ترويج سلعهم الأمر الذي يجعلهم يكذبون ويميلون إلى استغفال الناس واستغلالهم، ويغالون في الأيمان بلا رحمة ولا شفقة، فيغفلون بذلك عن مرضاة الله وعن حسابه. لذلك حكم عليهم بالفجور،

واستثنى منهم الذين يتقون الله فلا يرتكبون كبيرة ولا صغيرة من غش وخيانة، والذين يحسنون إلى الناس في تجارتهم ويواسون الفقراء فيجاوزون لهم، ولا يربحون إلاً ربحاً معقولاً لا غبن فيه ولا ظلم.

وقال ﷺ أيضاً:

«م ت د - أبو هريرة رضي الله عنه» أن رسول الله ﷺ مَرَّ في السوق على صُبْرةِ طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بَللاً، فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال يا رسول الله أصابته السماء، قال: أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس؟ ! وقال :

« من غشنا ليس منا ».

{رواه أبو هريرة. وأخرجه مسلم برقم 101 في الإيمان والترمذي برقم 1315 في البيوع}.

وقال ﷺ في الإحتكار:

«عبد الله بن عمر رضي الله عنهما» أن رسول الله ﷺ قال :

«من احتكر طعاماً أربعين يوماً يريد به الغلاء، فقد برئ من الله وبرئ الله منه».

{رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه أحمد برقم 33/2}

كما روى معاذ بن جبل رضي الله عنه حديثاً شريفاً بهذا المعنى، قال:

«سمعت رسول الله ﷺ يقول بئس العبد المحتكر، إن أرخص الله الأسعار حَزِن، وأن أغلاها فرح».

{ذكره صاحب المشكاة برقم 2897}

وقال رسول ﷺ:

«من أخذ شبراً من الأرض بغير حق خُسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين».

{أخرجه البخاري برقم 76/5 في المظالم، ورواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما}[52].

وكان غير المسلمين الذين يعيشون في ظل الحضارة العربية الإسلامية يعاملون تماما كالمسلمين، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، لا فرق بين مسلم وغير مسلم إلا في طريقة العبادة، وكان يكفي ليغدو الفرد مواطناً صالحاً وعضواً في المجتمع الإسلامي أن يعتنق الإسلام، أو يقبل راغباً العيش في ظل هذه الحضارة، أو يكفَّ عن خرق قوانين المجتمع ونظامه دون اعتناق الإسلام(53). وبالتالي فإن أية جماعة أو أي شعب، أو أي فرد يقبل النظام الإسلامي ويتعهد أن يكون عضواً نافعاً في المجتمع، يصبح جزءاً لا يتجزأ من ذلك النظام ويتمتع بجميع حقوق المسلمين ويقوم بجميع الواجبات المترتبة عليهم، وبعبارة أخرى يُعَدُّ مسلماً حضارياً ولو لم يعتنق الدين الإسلامي، تماماً كغير الشيوعي الذي يعيش في ظل نظام شيوعي فهو يُعَدُّ شيوعياً حضارياً ولو لم يعتنق الشيوعية(54). كما أن الإسلام يأمر بالعدل للجميع.

قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿ يا أيها الذين آمنول كونوا قوامين بالقسط شُهداء لله ولو على أنفسكم أوالوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا إن تلووا أو تُعرضوا فإن الله بما تعملون خبيراً ﴾.

{النساء 135}

﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداءَ بالقسط، ولا يجر منّكم شنآن قوم ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾.

{المائدة 8}

إن الإسلام لا يهدف إلى إخضاع العالم كله إلى نظام واحد، ولا إلى جعل الناس كافة مسلمين، بل يهدف إلى إزالة جميع العقبات التي تعيق تقدم الإنسانية، أو تحول دون حدوث عملية التفاعل الحضاري، وارتقاء البشرية نحو الأطوار الأعلى والأكثر تقدماً في مسار النمو الإجتماعي الإنساني.

قال جل جلاله في كتابه العزيز:

﴿ ولو شاء ربُّك لآمن من في الأرض كُلُّهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾.

[يونس 99]

﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ﴾.

[هود 118]

لقد كان الإسلام وما زال، وسوف يظل أكبر ثورة شهدها العالم، لأنه يرفض كل أشكال الإضطهاد والظلم والإستغلال والمس بكرامة الإنسان. لقد كرَّم الله في قرآنه الكريم الإنسان تكْريماً لا يمكن أن يرقى إليه أي تكريم .

قال الله عز وجل في كتابه العزيز:

﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم عل كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾.

[الإسراء 70]

إن الإسلام يدفع بالمجتمع البشري نحو التقدم الطبيعي بالتفاعل الحضاري والتعاون الودي القائم على المحبة وفي جو من السلام والطمأنينة والأمن. ويُعَدُّ الإسلام العدوَّ الأول والأقوى لكل أشكال الدكتاتوريات: الفردية منها والجماعية والطبقية، وعدو الإضطهاد والتخلف المادي والروحي على حد سواء. الإسلام محرر للإنسان من كل أشكال العقد النفسية والمادية[55].

قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿ ولمن انتصر بعد ظلمة فأولئك ما عليهم من سبيل * وإنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق، أولئك لهم عذاب أليم ﴾.

(الشورى 41- 42)

وهكذا نرى الإسلام يتميز من خلال مفهوم الجهاد بالسمات التالية:

1 . الواقعية الجدية: أي مواجهة جاهلية اعتقادية تصورية تقوم عليها أنظمة تساندها سلطات ذات قوة

مادية. ويتبع الإسلام في هذه المواجهة منهج الدعوة والبيان لتصحيح المعتقدات والتصورات، أو منهج القوة لإسقاط الأنظمة الظالمة.

2 . الواقعية الحركية: أي أن الإسلام لا يقابل الواقع ويواجهه بنظرات مجردة أو بوسائل متجمدة.

3 . الإلتزام بالهدف الأساسي للجهاد: وهو تحرير الإنسان بوسائل متجددة.

4 . الضبط التشريعي للعلاقات بين المجتمع المسلم والمجتمعات الأخرى والتي ينبغي أن تقوم على أساس حرية الإنسان في استخدام عقله للوصول إلى الحقيقة.

5 . الثورة على حاكمية البشر في مختلف صورها لأن ذلك يؤدي إلى تألية الحاكم وتحوله إلى طاغوت.

6 . الدفاع عن الإنسان وحرية الإنسان[56].

قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاّ أن يُتم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي

أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾.

(التوبة 32 – 33)

﴿ ياأيها النبي جاهد الكفار والمشركين والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾.

(التوبة 73)

الجهاد، إذن، هو الوسيلة الجوهرية، بل الأكثر شمولاً والتصاقاً بحياة الإنسان : الفرد والجماعة والأمة، حددها القرآن الكريم لتحرير الإنسان والمجتمعات البشرية قاطبة من التخلف (إخراجها من الظلمات إلى النور) فكما نقل الإسلام، بفضل الجهاد، المجتمع الإنساني من مرحلة العبودية إلى مرحلة المهن الحرة والتجارة العالمية المحكومة بالقوانين الإسلامية القائمة على التقوى ومخافة الله، كما ذكرنا آنفاً، فإن مهمة الجهاد اليوم تحرير المجتمع الإنساني من مرحلة

الرأسمالية التي تستغل جهود الإنسان وتقتله، ومن المرحلة الماركسية التي تحول الإنسان إلى آلة أو برغي في آلة، إلى مرحلة أرقى يتحرر منها الإنسان من الإستغلال والإمتهان سواء من قبل أفراد أو رأسمال أو شركات، أو تروستات (أي تجمع شركات احتكارية) أو دولة، ولتحريره من كل العقد النفسية والمادية التي لخصها القرآن الكريم بقوله :

﴿الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾.

الجهاد، في واقع الأمر هو حركة المسلمين الدائمة في العالم لإسقاط القيادات الجاهلة الضالة، وإتاحة الفرصة للإنسان كي يمارس حريته المعتقدية حيثما كان، بغض النظر عن الزمان والمكان والجنس واللون واللغة والثقافةوالإنتماء.

إنه مسوِّغ وجود الجماعة الاسلامية في كل زمان ومكانٍ ومفتاحِ دورها في الأرض وهدفها العقيدي، ومُعامِلُ توحيدها وضامن ديمومتها وتطورها.

إنه يشد أفراد المجتمع الواحد بعضهم إلى بعض، ويوجههم إلى بؤرة واحدة ويدفعهم إلى تجاوز السكون، وإلى التحرك الدائم نحو أهداف أبعد فأبعد.

أما إذ فَتَرت روح الجهاد في نفوس المسلمين أفراداً وجماعات، قيادات وقواعد، تفككت عرى وحدتهم، وتشتتت أهدافهم، ومالت تجربتهم الإجتماعية إلى التباطؤ فالسكون، وتساقطت مواقعهم الأمامية. وبدلاً من أن يسددوا ضرباتهم إلي القوى الجاهلية ويمتلكون زمام البادرة الاستراتجية في العالم إذا بهم يتلقون الضربات من هذه القوى، ويتراجعون صوب المواقع الدفاعية في الخطوط الخلفية. وبمعنى آخر، تنزل بهم الهزيمة على كل المستويات : السياسية والعسكرية والاقتصادية والعلمية والعقائدية والاستراتجية والحضارية وغيرها من مجالات الحياة[57].

إن ما نعانيه اليوم من احتلال صهيوني لأراضينا ولقدسنا (ثالث الحرمين وأولى القبلتين)، وما نواجهه من تهديد لوجودنا، وما نتجرعه من مهانة على يد أعدائنا، وامتهان لكرامتنا من قبل مؤيدي الصهيونية المتجسدة بما يسمى بـ «إسرائيل»، ما كل ذلك إلا نتيجة لتخاذلنا وتقاعسنا عن الجهاد، أصغره وأكبره، وخشيتنا لهؤلاء

الأعداء أكثر من خشيتنا لله عز وجل. لقد أعطانا القرآن الكريم درساً واضحاً ونهجاً بيناً يكشف لنا طبيعة العدو وكيفية مواجهتة وإنزال هزيمة نكراء به، ولكننا عن كل ذلك غافلون أو متغافلون.

هوامش الكتاب

* الحرب غير الجهاد، الجهاد ركن من أركان الإسلام، أما الحرب التي تعني القتال فإنها كره للمؤمنين. وسوف يجد القارئ لدى قراءته هذا الكتاب الفرق بين الحرب والجهاد.

1* الصدر، محمد باقر: "المدرسة القرآنية"، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط2، 1401 هـ /1981م.، ص 205 - 207.

2 د. شبلي، أحمد: "الجهاد في التفكير الإسلامي"، مكتبة النهضة المصرية، 9 شارع عدلي، القاهرة، ط1، 1968م.، ص17 - 18.

3 د. خليل، عماد الدين: "التفسير الإسلامي للتاريخ"، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، كانون ثاني (يناير) أي النار 1975، ص 246 - 249.

4 الطبري، الجزء الرابع، ص 109.

5 د. شبلي عن (النووي: "تهذيب الأسماء"، القسم الأول، الجزء الأول، ص 265).

6 المرجع السابق نفسه عن (البلاذري: "فتوح البلدان" ص141).

7 المرجع السابق نفسه عن :

(Kirk : "Ashort History of the Middle East" p 36)

8 المرجع السابق نفسه عن :

(Oliver, Ronald: "A Short History of Afice", P 77)

9 المرجع السابق نفسه :

Stanley Lane - Poole: "Egypt in The Middle Ages, P 269

10 د. شبلي، أحمد : "سلسلة مقارنة الأديان - اليهودية"، ص 72 - 92.

11 د. شلبي، أحمد: "الجهاد في التفكير الإسلامي ، ص 56 عن : (بداية المجتهد لابن رشد، والمحلى لابن حزم) وعن : (القانون الإسلامي للحرب "منبر الإسلام"، رجب 1378 هـ للمستشار أحمد موافي).

12 د. شلبي، المصدر السابق نفسه، ص 67

للاستزادة من هذا الموضوع انظر: (ابن رشد: "بداية المجتهد"،

ج1 ، ص 391) و (المحلى، ج7 ، ص 291) و (مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر) و (بُلْغَةُ السالك لأقرب المسالك، ج 2، باب الجهاد).

13 قطب، سيد: "في ظلال القرآن"، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط 2، ج 5، ص 43.

14 ابن الأثير الجَزَري، الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد: "جامع الأصول في أحاديث الرسول"، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، ط 1، 1389 هـ / 1969م، ج 2، ج 9.

(وردت الأحاديث في هذا المرجع على النحو التالي:

(1) تحت رقم 7170 ج 9 ص 471

(2) تحت رقم 5175 ج 9 ص 473

(3) تحت رقم 7169 ج 9 ص 471

(4) تحت رقم 7167 ج 9 ص 469

(5) تحت رقم 7190 ج 9 ص 486

(6) تحت رقم 7191 ج 9 ص 487

(7) تحت رقم 1045 ج 2 ص 567

15 دروزة، محمد عزة: "الجهاد في سبيل الله في القرآن والحديث"، دار اليقظة العربية ومحمد الموصللي، دمشق، سوريا، 1395هـ/ 1975م، ص 61.

16 جامع الأصول، رقم 1076، ج 2، ص 596.

17 جامع الأصول، رقم 1222، ج 2، ص 723، 724.

18 جامع الأصول، رقم 1078، ج 2، ص 596، 597.

19 جامع الأصول، رقم 1082، ج 2، ص 598، 599.

انظر كذلك (مَبْسوط السَّرخسي، ص 10)

20 أبو زهرة، الشخ محمد: «العلاقات الدولية في الإسلام» مقالة نشرت في «التوجيه الإجتماعي في الإسلام» من بحوث مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، القاهرة، ج1، 1391هـ /1971م، ص 138.

21 المرجع السابق نفسه، ص 144 - 149.

22 وردت الأحاديث الشريفة الأربعة في «جامع الأصول» تحت الأرقام {1136، 1137، 1138، 1139} على التوالي في الجزء الثاني، ص 649 - 651.

23 الصدر، محمد باقر: «المدرسة القرآنية»، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1401هـ / 1981 م، ص 46.

24 دروزة ، محمد عزت: «المصدر السابق نفسه»، ص 120

25 قطب، سيد: « في ظلال القرآن»، الجزء الخامس، الطبعة الثانية، دار إحياء الكتب العربية {عيسى البابي الحلبي وشركاه}، ص 50.

26 د.شهابي، إبراهيم يحيى: «الشخصية العربية»، دار الفتح، دمشق، 1401هـ / 1981م، ص 30، 31.

27 دروزة، محمد عزت: «الجهاد في سبيل الله في القرآن الحديث»، ص 173.

28 الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) : «نهج البلاغة» {شرح الشيخ محمد عبده}، مطبعة كرم ومكتبتها، دمشق الشام، الجزء الأول، ص 67، 68.

شرح الألفاظ في النص المذكور أعلاه:

الجُنّة: الوقاية – دُيِّيث: ذُلِّلَ – القماءة: الذل والصَّغار – أُديل: زال وضاع – الخسف: الذل والمشقة – النَّصف : العدل.

28 مكرر-انظر الهرثمي: «مختصر سياسة الحروب»، ص 7،6 {مخطوط في الجامعة العربية، الورقة الرابعة من المرجع نفسه}

29 قطب، سيد: «دراسات إسلامية»، دار الفتح في جزيرة الروضة، الطبعة، الثانية، ذو القعدة 1372هـ ، ص 208.

30 الشيخ محمد أبوزهرة: «المصدر نفسه»، ص 116.

31 الشيخ محمد أبوزهرة: «المصدر نفسه»، ص 121، 132.

32 . فسر العرب عبارة :

(territories occupied 1967) الأراضي التي احتلت عام 67، في حين فسرها العدو «أراضٍ احتلت عام 67» ، ويعني تفسير العرب أن على {إسرائيل} الإنسحاب من جميع الأراضي التي احتلتها عام 67 أم تفسير العدو فيعني الإنسحاب من أراضٍ وليست كل الأراضي. والفرق بين التفسيرين شاسع.

33 ابن كثير: «البداية والنهاية»، الجزء الثالث، ص 215، 216.

34 د.حميد الله، محمد:«مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة»، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة، 1389 هـ /1969م، ص 93 - 95. (وجد نص هذه المعاهدة

مكتوبا بالخط العبراني واللغة العربية في مخطوطة في كنزة مصر، وهي الآن في جامعة كمبردج، وقد نشر صورتها الشمسية هير شفيلد في مجلة جويش كوارترلي ريفيو، لندن، مجلد 15 من السلسلة الأولى، كانون ثاني «يناير» أي النار 1903م، ص 167 - 181 وذلك ضمن مقالة له حول هذه الوثييقة) .

• أنظر كذلك : معجم الأدباء لياقوت، الجزء الأول، ص247، 248.

أحكام أهل الذمة لابن القيم، طبع دمشق، ص 7 - 9

الوافي بالوفيات للصفدي، ج 1، ص 44، 45

تاريخ ابن كثير، ج 5، ص 352.

35 للمزيد من المعطيات حول موضوع المعاهدات، انظر:

أ • نيل الأوطار للإمام الشوكاني

ب • فتح القدير للإمام الشوكاني

جـ • شرح السير الكبير للإمام الشوكاني

د • الخراج لأبي يوسف

هـ • فتوح البلدان لياقوت الحموي

و • نهج البلاغة لابن جديد

ز . آثار الحرب للدكتور وهبي الزحيلي

ح . المغني لابن قدامة

ط . مغني المحتاج للإمام الخطيب الشربيني

ي . زاد المعاد لابن قيم الجوزية

36 د. شهابي، إبراهيم يحيى: "الشخصية العربية" دار الفتح، دمشق، 1401هـ / 1981م، ص 24.

37 د. الشافعي، رشاد عبد الله: "الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية"، عالم المعرفة رقم (102)، رمضان 1406 هـ / يونيو (حزيران) الصيف / 1986م.، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص 11.

38 سفر التكوين، الإصحاح 45 - 47.

39 د. شهابي، إبراهيم يحيى: "نقاط على حروف في الصراع العربي الصهيوني"، دار الأدهم للترجمة والنشر، دمشق، 1986م، ص 30، 31، الفقرة (5)، البنود (أ، ب، جـ، د، هـ، و)

40 المصدر السابق نفسه، ص 43 - 45.

41 د. الشافي، رشاد عبد الله: "الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية"، ص 21 ، (عن فؤاد شبل : "مشكلة اليهودية العالمية، ص {74).

42 المرجع السابق نفسه، ص 23.

43 المصدر السابق، ص 29، 30.

44 المصدر السابق، ص 40.

45 المصدر السابق، ص 139.

46 المصدر السابق، ص 177، 178.

47 Khaduri, Majid: "The Islamic Law of Nations, Shaybani`s Siyar", Gohn Hopkins Press, Baltimore, Maryland, 1966,PP.15, 16.

48 ابن تيمية: " قاعدة في قتال الكفار (مجموعة رسائل)"، م. حميد الفقي القاهرة، 1368هـ / 1949 م.، ص 115 - 146.

49 دروزة، محمد عزة: "الجهاد في سبيل الله في القرآن والحديث"، ص 5.

50 البزري، عفيف: "الجهاد في الإسلام"، الكرمل، دمشق، سوريا، ط 1، 1984م، ص 36، 37.

51 ابن الأثير: "جامع الأصول"، الجزء الأول، ص 432 / رقم الحديث (240).

52 انظر جامع الأصول لابن الأثير الأجزاء 1 (ص 431، 498، 592، 595، 596،) و8 (ص 446).

53 البزري، عفيف: "الجهاد في الإسلام"، ص 40، 46.

54 د. شهابي، إبراهيم يحيى: "الشخصية العربية"، ص 23.

55 د. شهابي، إبراهيم يحيى: "الشخصية العربية"، ص 49، 50.

56 قطب، سيد: "معالم في الطريق"، 1386 هـ/ 1967م، ص 56، 82. (انظر كذلك الآيات 74 – 76 من سورة النساء)

57 د. خليل، عماد الدينك ...التفسير الإسلامي للتاريخ"، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، كانون ثاني (يناير) أي النار 1975م، ص 292، 293

المصادر

1 . القرآن الكريم

2 . الكتاب المقدس {العهد القديم، والعهد الجديد}

3 . ابن الأثير: «جامع الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم»

4 . ابن تيمية: «منهاج السنة النبوية»

5 . ابن تيمية: «اقتضاء السراط المستقيم»

6 . ابن حديد: «نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب {كرم الله وجهه}»

7 . ابن حزم: «المحلى»

8 . ابن رشد: «بداية المجتهد»

9 . ابن قداحة: «المفتي»

10 . ابن قيم الجوزية: «زاد المعاد»

11 . ابن كثير: «البداية والنهاية»

12 . أبو زهرة؛ الشيخ محمد: «العلاقات الدولية في الإسلام»

13 . أبو يوسف: «الخراج»

14 . البزري، عفيف: «الجهاد في الإسلام»

15 . البلاذري: «فتوح البدان»

16 . الحموي، ياقوت: «فتوح البلدان»

17 . د.حميد الله، محمد: «مجموعة الوثائق السياسةللعهد النبوي والخلافةالراشدة»

18 . خضوري، ماجد: «القانون الإسلامي للأمم»

19 . د.خليل عماد الدين: «التفسير الإسلامي للتاريخ»

20 . دروزة، محمد عزت: «الجهاد في سبيل الله في القرآن والحديث»

21 . رونالد، أوليفر: «موجز تاريخ الشرق الأوسط» {بالإنكليزية}

22 . د.زحيلي: «آثار الحرب»

23 . ستانلي، لين بول: «مصر في العصور الوسطى» {بالإنكليزية}

24 . د.الشافعي، رشاد عبد الله: «الشخصيةاليهودية الإسرائيلية والروحالعدوانية»

25 . الشربيني، الإمام الخطيب: «مفتي المحتاج»

26 . د.شلبي، أحمد: «الجهاد في التفكير الإسلامي»

27 . د.شلبي، أحمد: «سلسلة مقارنة الأديان - اليهودية»

28 . د.شهابي، إبراهيم يحيى: «الشخصية العربية»

29 . د.شهابي، إبراهيم يحيى: «نقاط على حروف في الصراع العربي الصهيوني»

30 . الشوكاني: «نيل الأوطار»

31 . الشوكاني: «فتح القدير»

32 . الشوكاني : «شرح السيد الكبير»

33 . الصدر، الإمام محمد باقر: «المدرسة القرآنية»

34 . الصدر، الإمام محمد باقر: «المدرسة الإسلامية»

35 . الصدر، الإمام محمد باقر: «فلسفتنا»

36 . الطبري: «تاريخ الطبري»

37 . عبده، الشيخ محمد: «نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب [كرم الله وجهه]»

38 . الفقي، م.حميد: «قاعدة في قتال الكفار لابن تيمية»

39 . قطب، سيد: «دراسات إسلامية»

40 . قطب، سيد: «في ظلال القرآن»

41 . قطب، سيد: «معالم في الطريق»

42 . كيرك: «موجز تاريخ الشرق الأوسط» {بالإنكليزية}

43 . الموافي، أحمد: «القانون الإسلامي للحرب - منبر الإسلام»

44 . النوري: «تهذيب الأسماء»

45 . الهزيمي: «مختصر سياسة الحروب» {مخطوطة في الجامعة العربية}

أنظر كذلك:

46 . التوجيه التشريعي في الإسلام، من بحوث مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر

47 . بلغة السالك لأقرب المسالك

48 . مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر

اعمال المؤلف

أ- مؤلفات بالعربية:

1 . لوبية (كتيب حول معارك قرية لوبية الفلسطينية ضد الصهيونية)، مطبعة الاتحاد الشرقي، دمشق، 1954م.

2 . على الدرب (رواية حول الشعب الفلسطيني وصراعه ضد العدوان الصهيوني)، مكتبة أطلس، دمشق 1973م.

3 . الشخصية العربية (دراسة حول مكونات الأمم عموماً، ومكونات الأمة العربية خصوصاً). دار الفتح، دمشق، 1981م.

4 . جزيرة العمالقة (مجموعة قصص قصيرة مع رواية قصيرة حول الانسان العربي ومعاناته)، دار السؤال، دمشق، 1984م.

5 . نقاط على حروف في الصراع العربي الصهيوني، دار الأدهم للترجمة والنشر، دمشق، 1986م.

6 . مقالات أدبية وسياسية وقصص قصيرة وبعض القصائد نشرت في مختلف الصحف والمجلات العربية.

ب - مؤلفات بالانكليزية:

1- Islamic Conceptions : دار الفتح ، دمشق، 1976م

(قرر في حينه لطلاب السنتين الثالثة والرابعة في كلية الشريعة، جامعة دمشق).

2- Literary Readings : مطابع الوحدة الحكومية، دمشق:

1979 (قرر في حينه لطلاب السنتين الأولى والثانية من قسم اللغة العربية، كلية الأداب، جامعة دمشق)

3.An Approach To English Grammar.:

مطابع الوحدة الحكومية، دمشق، 1979م : (قرر في حينه لطلاب السنتين الأولى والثانية من قسم اللغة العربية، كلية الآداب، ولطلاب السنتين الأولى والثانية، كلية الشريعة، جامعة دمشق).

4. Studies In English:

مطبعة جامعة دمشق، 1982 (مازال مقرراً لطلاب السنتين الثالثة والرابعة من قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة دمشق).

5. The Arab - Israeli Conflict (1917 Through 1983)

رسالة دكتوراه في العلاقات الدولية، كاليفورنيا، الولايات المتحدة الأمريكية.

ج. ترجمات من العربية إلى الانكليزية:

1 ـ القرآن واليهود، محمد عزة دروزه: رسالة تخرج في الاجازة في الآداب، قسم اللغة الانكليزية وآدابها، جامعة دمشق، 1959م.

2 ـ البعد الخامس في الاسلام، د. أسعد علي، 1980م .

3 ـ في أضواء القرآن، د. أسعد علي، 1981م.

4 ـ صلوات الصحراء، د. أسعد علي، 1982م.

5 ـ أبجديات الايمان، د. أسعد علي، 1982م.

د • ترجمات من الانكليزية إلى العربية:

1. How To Understand Your Car, Atlas Library, Damascus, 1975.

2. Poetry And The Common Life, M.L. Rosenthal, Ministry of Culture,Damascus, Syria, 1982.

3. The International Jew, Ford I, Centre of Studies, P.L.O' Damascus, 1982.

4. Reactor Physics Constants, University Of Chicago, U.S.A., Administration of Military Works, Damascus, Syria, 1984.

5. How To Read A Film, James Monaco, Oxford University, London, United Kingdon, Lebanon, Beirut, 1989.

6. Science Now, Midlevant, Switzerland, 1985.

7. Tortilla Flat, John Steinbeck, Dar AL - Adham For Translation And PUBLISHING, Damascus, Syria, 1986

8. Nine Short Stories, all Were Published in "AL-A`dab AL- Ajnabia (Foreign Literatures) "Magazine, The Arab Union of Writers, Damascus, Syria - and in "AL - Ma`rifa" Magazine, Ministry of Culture, Damascus, Syria.

هـ . مؤلفات قيد النشر:

1. من التشرد إلى الدولة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
2. القرآن حرر الإنسان.

ثبت الموضوعات

